سلسلة مؤلفات فضيلة الشيخ (٧٢)

الصحوة الإسلامية

ضوابط وتوجيهات

لفضيلة الشيخ العلامة

محمد بن صالح العثيمين

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

طبع بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية

دار الوطن للنشر

مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية
المملكة العربية السعودية
عنيزة ـ ص ب : ١٩٢٩
هاتف : ٠٦/٣٦٤٢١٠٧ ـ ٠٦/٣٦٤٢٠٠٩
www.binothaimeen.com
info@binothaimeen.com

بعون الله وتوفيقه
طبع هذا الكتاب عدة طبعات منذ نشره عام ١٤١٥هـ
نفع الله به وأجزل المثوبة والأجر لمؤلفه

طبعة عام ١٤٢٦هـ

دار الوطن للنشر - الرياض

هاتف : ٤٧٩٢٠٤٢ (٥ خطوط) فاكس : ٤٧٢٣٩٤١ ـ ص ب : ٣٣١٠

- البريد الإلكتروني : pop@dar-alwatan.com
- موقعنا على الإنترنت : www.dar-alwatan.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فقد طبع هذا الكتاب «الصحوة الإسلامية ضوابط وتوجيهات»، طبعات كثيرة منذ عام ١٤١٤هـ، وقد اعتنى بطبعته الأولى ـ مشكوراً ـ الشيخ علي بن حسين أبو لوز فجزاه الله خيراً.

وإنفاذاً للقواعد والضوابط والتوجيهات التي قررها فضيلة شيخنا **محمد بن صالح العثيمين** ـ رحمه الله تعالى ـ في إخراج مؤلفاته وإعدادها للنشر، تمت ـ ولله الحمد ـ مقابلة محتوى الكتاب على النسخة الأصلية التي راجعها فضيلته.

وبناءً عليه فإن هذه الطبعة هي النسخة المعتمدة للكتاب.

نسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، نافعاً لعباده، وأن يجزي فضيلة شيخنا المؤلف عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، ويسكنه

فسيح جناته إنه سميع قريب.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

اللجنة العلمية

في مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية

٥/ ٣/ ١٤٢٤هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

إن الحمد لله، نحمده ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله الله تعالىٰ بالهدىٰ ودين الحق، فبلّغ الرسالة، وأدىٰ الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، وترك أمته علىٰ محجة بيضاء نقية، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك.

وخلفه في أمته خلفاؤه الراشدون، الأئمة المهديون، الذين ساروا في الأمة علىٰ نهج رسول الله ﷺ عقيدةً، وعبادةً، وسلوكاً، ومعاملة، ودعوة إلىٰ الله عز وجلّ، وجهاداً في سبيله، فأبان الله بهم الطريق، وأنار الظُّلْمَة، وعلىٰ رأسهم أبو بكر الصِّدّيق رضي الله عنه، ثم عمر الفاروق، ثم عثمان ذو النورين، ثم علي ابن أبي طالب رضي الله عنهم، الذي قال له النبي ﷺ حين بعثه إلىٰ خيبر: «**انفذ على رِسْلِكَ حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حُمْرُ النّعم**»[1].

أما بعد:

أيها الإخوة الكرام: لا يخفىٰ علىٰ الجميع ما منَّ الله به علىٰ الأمة الإسلامية

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي ﷺ الناس إلىٰ الإسلام، رقم (٢٩٤٢)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، رقم (٢٤٠٦).

في هذه البلاد وفي غيرها من الحركة المباركة، واليقظة الحيَّة لشباب الإسلام، في اتجاههم الاتجاه الذي يكمّل به اتّجاه سابق. هذا الاتجاه السليم الذي هدفه الوصول إلى شريعة الله من خلال كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

ولا شك أنَّ هذه اليقظة وهذه الحركة ـ كغيرها من الحركات واليقظات الطيبة المباركة ـ سيقوم ضدها أعداء؛ لأنّ الحق كلما اشتعل نوره اشتعلت نار الباطل، ولكن: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[1].

إن هذه الصحوة الإسلامية التي نجدها ـ ولله الحمد ـ في شبابنا من الذكور والإناث؛ هذه الصحوة التي ليست في هذه البلاد فحسب؛ بل في جميع الأقطار الإسلامية، إنها تحتاج إلى أمور تجعلها حركة نافعة بناءة بإذن الله تعالى.

وفيما يلي سأبيِّن ـ مستعيناً بالله ـ هذه الأمور، وهذه الضوابط حتى تكون هذه الصحوة ناجحة ونافعة وبناءة بإذن الله تعالى.

وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل فيها نوراً وبرهاناً لكاتبها وقارئها وللمسلمين كافة.

المؤلف

■ ■ ■ ■ ■

---

(١) سورة الصف، الآية: ٨.

القسم الأول

ضوابط مهمة لنجاح الصحوة الإسلامية

الضابط الأول: التمسك بالكتاب والسنة

أيها الإخوة : إنَّ هذه الصحوة ـ ولله الحمد ـ شاملة عامة في جميع البلاد الإسلامية، كما يصل إلينا ذكرها، ولكن يجب أن تكون هذه الصَّحوة على أساس متين من كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ؛ لأنَّها إذا لم تكن قائمة على ذلك كانت صحوة هوجاء عاصفة، ربَّما تُدمِّر أكثر مما تعمِّر، ولكنَّها إذا بُنيت على كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ الثابتين، صار لها أثرها الفعال في الأمة الإسلامية وغيرها.

ولا يخفى علينا جميعاً القصة المطولة التي نرى فيها أبا سفيان حين قدم إلى الشام، واجتمع بملكها حينذاك وهو هرقل ملك الروم ـ وكان أبو سفيان حينذاك كافراً ـ فذكر أبو سفيان ما كان عليه النبي ﷺ من عبادة الله، ونبذ الأوثان، وحسن الأخلاق، والمعاملة والصدق والوفاء، وغير ذلك مما جاءت به الشريعة، فقال هرقل لأبي سفيان: «إن كان ما تقول حقًّا فسيملك ما تحت قدميَّ هاتين»[1].

مَنْ الذي يتصور أن النبي ﷺ في ذلك الوقت ولم تَدِنْ له العرب بعد؛ بل إنه عليه الصلاة والسلام لم يزل مهاجراً عن مكة ولم يفتحها بعد، مَنْ الذي يتصور أن ملكاً كهرقل في قومه يقول مثل هذا الكلام: «**إن كان ما تقول حقاً فسيملك ما تحت قدمي هاتين**»؟!

هذا الأمر الذي توقعه هرقل: هل تحقق ذلك أم لم يتحقق؟!

(١) أخرجه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، رقم (٧).

هل ملك النبي ﷺ ما تحت قدمي هرقل ـ أي الشام ـ أم لا؟

كيف ملك الشام وقد توفي ﷺ ولم تُفتح الشام؟!!

لقد ملك النبي ﷺ ما تحت قدمي هرقل بدعوته لا بشخصه؛ لأن دعوته أتت على هذه الأرض، واكتسحت الأوثان والشرك، وملكها الخلفاء الراشدون بعد محمد ﷺ ملكوها بدعوة النبي وشريعته ﷺ.

إننا نقول : إنَّ الأمة الإسلامية لو رجعت إلى دين الله حقاً، لو رجع رعاتها ورعيتها إلى دين الله حقًّا، واتخذوا المؤمنين أولياء، واتخذوا الكافرين أعداء؛ لملكوا مشارق الأرض ومغاربها. لا لأنهم ينصرون بقوميتهم أو بشخصيتهم، أو بانتمائهم إلى قبيلة معينة، ولكن ينتصرون لأنهم قاموا بدين الله عز وجل، وقد تكفل الله سبحانه وتعالى أن يظهر دينه على الأديان كلها، فقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾[1]. ولازم إظهار هذا الدين أن يظهر من تمسكوا بهذا الدين.

أيها الإخوة : إنَّ هذه اليقظة التي سادت شباب المسلمين اليوم إذا لم تكن مبنية على كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ فستكون هوجاء مائلة، يُخشى أن تدمر أكثر مما تعمِّر.

ولكن إذا قيل: كيف الرجوع إلى كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ؟!

أما الرجوع إلى كتاب الله:

حين يحرص المسلمون على تدبّر كتاب الله عز وجل، ثم على العمل بما جاء به، لأن الله يقول: ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا

---

(١) سورة الصف، الآية: ٩ .

الأَلْبَابِ﴾[١].

- ﴿لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾. وتدبر الآيات يوصل إلى فهم المعنى.
- ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الأَلْبَابِ﴾. والتذكر هو العمل بهذا القرآن.

نزل هذا القرآن لهذا المعنى، أو لهذه الحكمة، وإذا كان نزل لذلك؛ فلنرجع إلى الكتاب لنتدبره ولنعلم معانيه، ثم نطبق ما جاء به، ووالله إن فيه سعادة الدنيا والآخرة، يقول الله تعالى: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَىٰ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾[٢].

ولهذا لا تجد أحداً أنعم بالاً، ولا أشرح صدراً، ولا أشد طمأنينة في قلبه من المؤمن أبداً، حتى وإن كان فقيراً، فالمؤمن أشد الناس انشراحاً، وأشد الناس اطمئناناً، وأوسع الناس صدراً، واقرؤوا إن شئتم قول الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٣].

ما هي الحياة الطيبة؟

هل هي كثرة المال؟

أم هي كثرة الأولاد؟

أم هي الأمن في الأوطان؟

لا، إن الحياة الطيبة هي انشراح الصدر وطمأنينة القلب، حتى ولو كان الإنسان في أشد بؤس، فإنه مطمئن القلب منشرح الصدر، قال النبي ﷺ: «عجباً

(١) سورة ص، الآية: ٢٩.

(٢) سورة طه، الآيتان: ١٢٣، ١٢٤.

(٣) سورة النحل، الآية: ٩٧.

لأمر المؤمن، إنَّ أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضرَّاء صبر فكان خيراً له»[١].

الكافر إذا أصابته الضراء هل يصبر؟ . . لا . بل يحزن وتضيق عليه الدنيا، وربما انتحر وقتل نفسه، لكن المؤمن يصبر ويجد لذّة الصّبر انشراحاً وطمأنينة؛ ولذلك تكون حياته طيبة، وبذلك يكون قوله تعالى: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾. حياة في قلبه ونفسه.

ذكر بعض المؤرخين الذين تكلموا عن حياة الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ وكان قاضي قضاة مصر في عهده، وكان إذا جاء إلى مكان عمله يأتي بعربة تجرها الخيول أو البغال في موكب. فمرَّ ذات يوم برجل يهودي في مصر زيّات ـ يعني يبيع الزيت ـ وعادة يكون الزيات وسخ الثياب ـ فجاء اليهودي فأوقف الموكب وقال للحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ: إن نبيكم يقول: **«الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»**[٢]. وأنت قاضي قضاة مصر، وأنت في هذا الموكب، وفي هذا النعيم، وأنا ـ يعني نفسه اليهودي ـ في هذا العذاب وهذا الشقاء.

قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ: «أنا فيما أنا فيه من الترف والنعيم إن صح يُعتبر بالنسبة إلى نعيم الجنة سجناً، وأما أنت بالنسبة للشقاء الذي أنت فيه يعتبر بالنسبة لعذاب النار جنة» فقال اليهودي: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله. وأسلم.

* فالمؤمن في خير مهما كان، وهو الذي ربح الدنيا والآخرة.

* والكافر في شر، وهو الذي خسر الدنيا والآخرة.

قال الله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير، رقم (٢٩٩٩).
(٢) أخرجه مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، رقم (٢٩٥٦).

الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[١].

فالكفار والذين أضاعوا دين الله وتاهوا في لذاتهم وترفهم فهم وإن بنوا القصور وشيدوها وازدهرت لهم الدنيا؛ فإنهم في الحقيقة في جحيم. حتى قال بعض السلف: «لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف».

أما المؤمنون فقد نعموا بمناجاة الله وذكره، وكانوا مع قضاء الله وقدره، فإن أصابتهم الضراء صبروا، وإن أصابتهم السراء شكروا، فكانوا في أنعم ما يكون، بخلاف أصحاب الدنيا فإنهم كما وصفهم الله بقوله: ﴿فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾[٢].

أيها الإخوة.. هذا كتاب الله بين أيدينا لنرجع إليه، ونتدبره ونعمل بما فيه.

أما الرجوع إلى السنة النبوية:

فسنة الرسول ﷺ ثابتة بين أيدينا، ولله الحمد ومحفوظة، حتى ما كان مكذوباً على الرسول ﷺ فإنَّ أهل العلم بينوا سنته الصحيحة، وبينوا ما هو مكذوب عليه، وبقيت السنة ـ ولله الحمد ـ ظاهرة محفوظة، يستطيع أي إنسان أن يصل إليها إما بمراجعة الكتب ـ إن تمكن ـ وإلا ففي سؤال أهل العلم.

ولكن إذا قال قائل: كيف توفِّق بين ما قلت من الرّجوع إلى كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، مع أننا نجد أن أناساً يتبعون الكتب المؤلفة في المذاهب، ويقول: أنا مذهبي كذا؛ وأنا مذهبي كذا؛ وأنا مذهبي كذا!! حتى إنك لتفتي الرّجل وتقول له: قال النبي ﷺ كذا، فيقول: أنا مذهبي حنفي، أنا مذهبي مالكي، أنا مذهبي شافعي، أنا مذهبي حنبلي.. وما أشبه ذلك؟!

فالجواب: أن نقول لهم: إننا جميعاً نقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن

---

(١) سورة العصر.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٥٨.

محمداً رسول الله .

فما معنى شهادة أن محمداً رسول الله؟

قـال العلمـاء: معناها : «طاعته فيما أمر ، واجتناب ما نهى عنه وزجر ، وتصديقه فيما أخبر ، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع» . هذا هو معنى شهادة أن محمداً رسول الله .

فإذا قال إنسان: أنا مذهبي كذا أو مذهبي كذا فنقول له : هذا قول الرسول عليه الصلاة والسلام ، فلا تعارضه بقول أحد .

حتى أئمة المذاهب ينهون عن تقليدهم تقليداً محضاً . ويقولون : «متى تبين الحق فإن الواجب الرجوع إليه» .

فنقول لهذا الأخ الذي عارضنا بمذهب فلان أو فلان: نحن وأنت نشهد أنَّ محمداً رسول الله ، وتقتضي هذه الشهادة ألا نتبع إلا رسول الله ﷺ .

وهذه السُّنة بين أيدينا واضحة جلية ، ولكن لست أعني بهذا القول أن نقلل من أهمية الرجوع لكتب الفقهاء وأهل العلم ؛ بل إنَّ الرجوع إلى كتبهم للانتفاع بها ومعرفة الطرق التي بها تستنبط الأحكام من أدلتها من الأمور التي لا يمكن أن يُحقق طلب العلم إلا بالرجوع إليها .

ولذلك نجد أولئك القوم الذين لم يتفقهوا على أيدي العلماء نجد أنّ عندهم من الزلات شيئاً كثيراً ؛ لأنَّهم صاروا ينظرون بنظر أقل مما ينبغي أن ينظروا فيه ، يأخذون مثلاً صحيح البخاري ، فيذهبون إلى ما فيه من الأحاديث ، مع أنَّ في الأحاديث ما هو عام ومخصص ومطلق ومقيد ، وشيء منسوخ ، لكنهم لا يهتدون إلى ذلك ، فيحصل بهذا ضلال كبير .

المهمّ أيها الإخوة .. أن نبني يقظتنا وصحوتنا على أساسين هما : كتاب الله ، وسنة رسوله ﷺ ، وألا نقدّم عليهما قول أحد من الناس مهما كان .

الضابط الثاني: العلم والبصيرة

من الأمور التي يجب أن ترتكز عليها هذه الصحوة: العلم. أي العلم بشريعة الله عز وجل علماً متلقىً من مصدرين أساسيين لا ثالث لهما، ألا وهما: كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، لقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾(١). ولقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً﴾(٢).

فالعلم هو أساس الدعوة ومادة الدعوة، ولا يمكن أبداً لدعوة أن تتم على الوجه الذي يرضاه الله عز وجل إلا إذا كانت مبنية على العلم. وقد ترجم البخاري - رحمه الله - في صحيحه بهذه الترجمة «باب العلم قبل القول والعمل» واستدل بقوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾(٣).

فكل دعوة بلا علم فإنه لابد أن يكون فيها انحراف وضلال، ولهذا حذَّر النبي ﷺ من هذا الأمر عندما يقبض العلماء فلا يبقى إلا رؤساء جهَّال يفتون بغير علم فيضلون ويُضلون(٤).

---

(١) سورة النحل، الآية: ٤٤.

(٢) سورة النساء، الآية: ١١٣.

(٣) سورة محمد، الآية: ١٩.

(٤) لحديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالم اتخذ النَّاس رؤوساً جهالاً، فَسُئِلُوا فأفتوا بغير علم، فضلُّوا وأضلوا». أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم؟، رقم (١٠٠)، ومسلم كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه....، رقم (٢٦٧٣).

ونرىٰ كثيراً من الإخوة الذين عندهم هذه الصحوة اندفعوا بالعاطفة الدينية الإسلامية ولا شكّ أن هذا خير، وإذا لم تكن هناك حرارة وعاطفة فلن يكون إقدام، ولكن العاطفة لا تكفي وحدها؛ بل لابد من العلم الذي يسير عليه الإنسان في عمله وفي دعوته، ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام: «**بلغوا عني ولو آية**»[١]. ولا يمكن أن نبلغ عنه إلا ما علمناه من شريعته؛ لأن قوله: «**بلغوا عني**»، معناه: أنَّه أنابنا منابه بأن نبلِّغ ما صدر منه.

فعلىٰ الدَّاعية أن يكون علىٰ علم فيما يدعو إليه، علىٰ علم صحيح مرتكز علىٰ كتاب الله وسنة رسوله ﷺ؛ لأن كل علم يتلقىٰ من سواهما يجب أن يُعرض عليهما أولاً، وبعد عرضه فإما أن يكون موافقاً أو مخالفاً. فإن كان موافقاً قُبِلَ. وإن كان مخالفاً وجب رَدُّه علىٰ قائله كائناً من كان، فقد ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء أقول: قال رسول الله. وتقولون: قال أبو بكر وعمر».

إذا كان هذا في قول أبي بكر وعمر الذي يُعارض به قول رسول ﷺ؛ فما بالكم بقول من دونهما في العلم والتقوىٰ والصحبة والخلافة. فإن ردّ قوله إذا خالف كتاب الله وسنة رسوله ﷺ من باب أولىٰ، ولقد قال عز وجل: ﴿**فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾[٢]. قال الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ: «أتدري ما الفتنة؟ الفتنة الشرك، لعله إذا ردّ بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك».

وأما الدعوة بدون علم فإنها دعوة علىٰ جهل، والدعوة علىٰ الجهل ضررها

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم (٣٤٦١).
(٢) سورة النور، الآية: ٦٣.

أكبر من نفعها، لأن هذا الداعية قد نصَّب نفسه موجهاً ومرشداً، فإذا كان جاهلاً فإنه بذلك يكون ضالاً مضلاً والعياذ بالله، ويكون جهله هذا جهلاً مركباً، والجهل المركب أشد من الجهل البسيط، فالجهل البسيط يمسك صاحبه ولا يتكلم، ويمكن رفعه بالتعلم، ولكن المشكلة كل المشكلة في حال الجاهل المركب، إن هذا الجاهل المركب لن يسكت، بل سيتكلم ولو عن جهل وحينئذ يكون مدمِّرًا أكثر مما يكون منوِّراً.

● **أيها الإخوة:** إن الدعوة إلىٰ الله علىٰ غير علم خلاف ما كان عليه النبي ﷺ ومن اتبعه، واستمعوا إلىٰ قول الله تعالىٰ آمراً نبيه ﷺ حيث قال: ﴿**قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾[1].

فقال: أدعو إلىٰ الله علىٰ بصيرة أنا ومن اتبعني، أي أنَّ من اتبعه ﷺ فإنه لابد أن يدعو إلىٰ الله علىٰ بصيرة لا علىٰ جهل.

وتأمل أيها الداعية قول الله تعالىٰ: ﴿**عَلَىٰ بَصِيرَةٍ**﴾، أي: علىٰ بصيرة في ثلاثة أمور:

أولاً: أن يكون على بصيرة فيما يدعو إليه:

بأن يكون عالماً بالحكم الشرعي الذي يدعو إليه، لأنه قد يدعو إلىٰ شيء يظنّ أنه واجب وهو في الشرع غير واجب، فيُلْزِمُ عباد الله بما لم يلزمهم الله به، وقد يدعو إلىٰ ترك شيء يظن أنه محرم، وهو في دين الله غير محرم، فيُحَرِّم علىٰ عباد الله ما أحله الله لهم.

لقد سمعنا من يدعو الناس إلىٰ نبذ كل جديد، ولو كان هذا الشيء الجديد مما تدعو الحاجة إليه، وليس فيه مضرَّة شرعية.

---

(١) سورة يوسف، الآية: ١٠٨.

فمثلاً يقول: لا تستمع إلىٰ القرآن من المسجل؟! لماذا؟

قال: لأنَّ هذا لم يكن معروفاً في عهد النبي ﷺ وأصحابه، فيكون بدعة، وقد قال رسول الله ﷺ: «كلّ بدعة ضلالة»[1].

فهذا دعا إلىٰ الله، ولكن علىٰ غير بصيرة فيما يدعو إليه، لأنّ هذا المسجل وسيلة لحفظ القول المسموع، والوسائل ليست كالمقاصد، الوسائل لها أحكام المقاصد.

ولهذا: هل كان في عهد النبي ﷺ مكتبات ومطابع تطبع الكتب، وخزانَات ومستودعات للكتب؟ الجواب: لا. بل لم يكن في عهد النبي ﷺ تأريخ، فأوّل مَنْ وضع التأريخ عمر بن الخطاب رضي الله عنه في السنة السادسة عشرة، فهل نقول الآن: إنّ استعمال التأريخ بدعة ولا يجوز؟ لا.

إذن لابد وأن نكون علىٰ بصيرة فيما ندعو إليه.

وعلىٰ العكس من ذلك، هناك من يغالي في مثل هذه الأمور، كأن يقول: ضعوا شريطاً مسجلاً فيه الأذان عند الميكرفون، ودعوه يؤذن، فهذا علىٰ العكس من الأول، فهذا لا يُريد منّا أن نتعبد لله تعالىٰ بالأذان، وإنّما يُريد أن نجعل هذه الاسطوانة، ليسمع الناس صوت مؤذن قد يكون قد مات، فهذا خطأ أيضاً.

فالحاصل: أنه لابد أن يكون الإنسان علىٰ بصيرة فيما يدعو إليه.

كذلك بعض الناس يتوهم أن شيئاً من الأمور واجب، وربما يعتقد ذلك بناء علىٰ اجتهاد خاطيء من عنده، وليته يقتصر علىٰ هذا، ولكنه يجعل من هذا الاعتقاد المبني علىٰ تأويل أو علىٰ شبهة لا أصل لها يجعل منه وسيلة للولاء

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، رقم (٨٦٧).

والبراء، وهذه هي المشكلة!! فإذا لم يوافقه إنسان على رأيه، وإن كان رأيه خاطئاً بمقتضى أدلة الكتاب والسنة، كره هذا الرّجل وأبغضه، وإذا وافقه على رأيه أحبه، وإن كان عند هذا الرجل الذي وافقه على رأيه من البدع ما عنده، لكنه لما وافقه على رأيه صار محبوباً إليه، وهذه هي المشكلة!!

ولا أحبّ أن أضع النقط على الحروف في هذه المسألة بالذات، لكنها معلومة عند كثير من الشباب، فإن بعض الشباب صاروا يوالون فلاناً ويتبرؤون من فلان، فيوالون فلاناً لأنه أفتاهم بما يعتقدون أنه الحق، ويتبرؤون من فلان؛ لأنه أفتاهم بما يظنون أنه ليس هو الحقّ، وهذا خطأ.

فالإنسان المفتي لا يُفتي لأجل أن يُمدح عند الناس، أو يكون محبوباً عندهم أو مكروهاً، إنما يُفتي بحسب ما يظن أن هذا هو شرع الله؛ لأن المفتي يُعبر عمن؟ يعبر عن دين الله عز وجل وعن أحكامه، ولهذا يجب على المفتي أن يعرف أين يضع قدمه قبل أن يضعها، فيجب أن يعلم أن هذا هو الشّرع قبل أن يفتي به، لأنه معبر عن شريعة الله، والمهم أن يكون الإنسان على بصيرة فيما يدعو إليه.

ثانياً: أن يكون على بصيرة بحال المدعو:

لما بعث النبي ﷺ معاذاً إلى اليمن، ماذا قال له؟ قال له: «**إنك تأتي قوماً أهل كتاب**»(١). ليعرف حالهم ويستعدّ لهم.

أتأتي لشخص تدعوه وأنت لا تعرف حاله؟

ربما يكون هذا الشخص عنده من العلم بالباطل ما يوقفك في أوّل الطريق، وإن كنت على حقّ.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، رقم (١٣٩٥)، ومسلم، كتاب الإيمان باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ رقم (١٩).

إذن لابدّ أن تعلم حال هذا المدعو . . ما مستواه العلمي؟ وما مستواه الجدلي؟ حتى تتأهب له فتناقشه وتجادله، لأنك إذا دخلت مع مثل هذا في جدال، وكان الأمر عليك لقوة جدله، صار في هذا نكبة عظيمة على الحق، وأنت سببها، ولا تظنّ أن صاحب الباطل يخفق في كل حال، فإنّ الرسول ﷺ قال: «**إنكم تختصمون إليَّ، ولعلَّ بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فأقضي له على نحو ما أسمع منه، فمن قضيت له بحق أخيه شيئاً فلا يأخذه، فإنما أقطع له قطعة من النار**»(١) . فهذا يدل على أن المخاصم وإن كان بباطل، قد يكون ألحن بحجته من الآخر، فيُقضى بحسب ماتكلَّم به هذا المخاصم، فلابد أن تكون عالماً بحال المدعو .

ثالثاً: أن يكون على بصيرة في كيفية الدعوة:

وهذه يفقدها بعض الدعاة، تجد عنده من الغيرة والحماس والاندفاع شيئاً كثيراً لا يستطيع معه أن يمنع نفسه مما يريد أن ينفذه، فيدعو إلى الله بغير حكمة، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿**ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾(٢) .

لكن هذا الإنسان الدّاعية الطيب الذي ملأ الله قلبه غيرة على دينه، لا يملك نفسه، فيجد المنكر فيهجم عليه هجوم الطير على اللحم، ولا يفكِّر في العواقب الناتجة عن ذلك، لا بالنسبة له وحده، ولكن بالنسبة له ولنظرائه من الدعاة إلى الحق، لأنكم تعرفون أن للحقّ أعداء، قال تعالى: ﴿**وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا**

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الشهادات، باب من أقام البيِّنة بعد اليمين، رقم (٢٦٨٠). ومسلم، كتاب الأقضية، باب الحكم بالظاهر واللحن بالحجة، برقم (١٧١٣).

(٢) سورة النحل، الآية: ١٢٥ .

مِّنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [(١)]. فكل دعوة نبيّ لها عدوّ من المجرمين.

لذا يجب على الداعية قبل أن يتحرك، أن ينظر إلى النتائج، ويقيس الأمور، فقد يكون في تلك السَّاعة ما يطفئ لهيب غيرته فيما صنع، لكن بالتأني والحكمة سيُخمد هذا الفعل نار غيرته وغيرة غيره في المستقبل، وقد يكون في المستقبل القريب دون البعيد.

لهذا أحثّ إخواني الدّعاة على استعمال الحكمة والتأني، وهم يعلمون أن الله تعالى قال: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [(٢)]. ويعلمون أن الله تعالى قال: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [(٣)]. ولو شئنا لضربنا لذلك أمثلة من هدي الرسول ﷺ معلم الخير وأفضل الدّعاة وأحكمهم.

وإذا كان هذا ـ أعني تزود الداعية بالعلم الصحيح المبني على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ـ هو مدلول النّصوص الشرعية فإنه كذلك مدلول العقول الصريحة التي ليس فيها شُبهات ولا شهوات؛ لأنك كيف تدعو إلى الله عزوجل وأنت لا تعلم الطريق الموصل إليه، ولا تعلم شريعته؟ فكيف إذن يصحّ أن تكون داعية؟!

فإذا لم يكن الإنسان ذا علم فمن الأولى به أن يتعلّم أولاً، ثم يدعو ثانياً.

قد يقول قائل: هل قولك هذا يعارض قول النبي ﷺ: «**بلغوا عني ولو آية**» [(٤)]؟

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٣١.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٦٩.

(٣) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(٤) انظر تخريجه صفحة: ١٦.

فالجـواب: لا؛ لأن الرسول ﷺ يقول: «بلِّغوا عني» إذن فلا بدّ أن يكون ما نبلغـه قد صدر عن رسـول الله ﷺ وهذا هو ما نريـده، ولسنا عندمـا نقـول: إنَّ الداعيـة محتاج إلىٰ العـلم لسنا نقول: إنه لا بدّ أن يبلغ شوطاً كبيراً في العلم، ولكننا نقول: لا يدعو إلا بما يعلم فقط، ولا يتكلم بما لا يعلم.

■ ■ ■ ■ ■

الضابط الثالث: الفَهْـــم

من الأمور المهمة في هذه الصحوة المباركة قضية الفَهْم. أي فهم مراد الله عز وجل ومراد رسوله ﷺ؛ لأن كثيراً من الناس أتوا علمًا ولكن لم يؤتوا فهماً. لا يكفي أن تحفظ كتاب الله وما تيسر من سنة رسول الله ﷺ بدون فهم. لابدّ أن تفهم عن الله ورسوله ما أراده الله ورسوله، وما أكثر الخلل من قوم استدلوا بالنصوص على غير مراد الله ورسوله ﷺ فحصل بذلك الضلال.

وهنا أنبِّه على نقطة مهمة ألا وهي: أن الخطأ في الفهم قد يكون أشد خطراً من الخطأ بالجهل؛ لأنَّ الجاهل الذي يخطئ بجهله يعرف أنه جاهل ويتعلم، لكن الذي فهم خطأ فإنه يعتقد في نفسه أنه عالم، ويعتقد أن هذا الذي فهمه هو مراد الله ورسوله ﷺ.

أضرب لذلك بعض الأمثلة ليتبين لنا أهمية الفهم:

المثال الأول: قال الله تعالى: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ (٧٨) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾[1].

فضَّل الله عز وجل سليمان على داود في هذه القضية بالفهم ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾. ولكن ليس هناك نقص في علم داود: ﴿وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾.

وانظر إلى الآية الكريمة لَمّا ذكر الله عز وجل ما امتاز به سليمان من الفهم، فإنَّه ذكر أيضاً ميزة داود عليه السلام، فقال تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ﴾. وذلك حتى يتعادل كلٌّ منهما، فذكر الله تعالى ما اشتركا فيه من الحكم والعلم، ثم ذكر ما امتاز به كل واحد منهما عن الآخر. وهذا يدلنا على أهمية الفهم، وأن العلم ليس كل شيء.

---

(١) سورة الأنبياء، الآيتان: ٧٨، ٧٩.

المثال الثاني : إذا كان عندك وعاءان ، أحدهما فيه ماء ساخن دافئ، والآخر فيه ماء بارد قارس، والفصل فصل الشتاء، فجاء رجل يريد الاغتسال من الجنابة، فقال بعض الناس : الأفضل أن يستخدم الماء البارد ، وذلك لأنَّ الماء البارد فيه مشقة؛ لأن النبي ﷺ قال : «**ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟ قالوا : بلى يا رسول الله. قال : إسباغ الوضوء على المكاره. .**»[1] الحديث.

يعني إسباغ الوضوء في أيام البرد. فإذا أسبغت الوضوء بالماء البارد ، كان أفضل من أن تُسبغ الوضوء بالماء الدافئ المناسب لطبيعة الجو.

فالرجل أفتى بأن استخدام الماء البارد أفضل، واستدل بالحديث السابق.

الخطأ الآن في العلم أم في الفهم؟!

واضح أن الخطأ في الفهم!!

لأن الرسول ﷺ يقول : «**إسباغ الوضوء على المكاره**»، ولم يقل : أن تختار الماء البارد للوضوء، وفَرْقٌ بين التعبيرين. ولو كان الوارد في الحديث التعبير الثاني لقلنا نعم اختر الماء البارد. ولكن قال : «**إسباغ الوضوء على المكاره**». أي أن الإنسان لا يمنعه برودة الماء من إسباغ الوضوء.

ثم نقول: هل يريد الله بعباده اليسر أم يريد بهم العسر؟

الجواب: في قوله تعالى: ﴿**يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ**﴾[2]، وفي قول النبي ﷺ : «**إن الدين يسر**»[3].

فأقول لشباب الصحوة : إنَّ قضية الفهم قضية مهمة، فعلينا أن نفهم ماذا أراد الله من عباده؟ هل أراد أن يشق عليهم في أداء العبادات أم أراد بهم اليسر؟!

ولا شك أن الله عز وجل يريد بنا اليسر، ولا يريد بنا العسر.

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الطهارة، باب فضل إسباغ الوضوء على المكاره، رقم (٢٥١).

(٢) سورة البقرة، الآية : ١٨٥ .

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب الدين يسر، رقم (٣٩)..

الضابط الرابع: الحكمة

من الأمور المهمة جداً أيضاً مسألة الحكمة في الدعوة إلى الله ، وأخص بها شباب الصحوة الإسلامية .

وما أمرّ الحكمة على غير ذي الحكمة .

والدعوة إلى الله تكون على مراتب أربع :

أولاً : بالحكمة .

ثانياً : بالموعظة الحسنة .

ثالثاً : بالجدال بالتي هي أحسن لغير الظالم .

رابعاً : بالفعل الرادع للظالم .

والدليل على هذه المراتب قول الله تعالى : **﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾**(١) . وقوله تعالى : **﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾**(٢) .

إن الحكمة : إتقان الأمور وإحكامها بأن تُنزل الأمور منازلها ، وتوضع في مواضعها ، وليس من الحكمة أن تتعجل وتريد من الناس أن ينقلبوا عن حالهم التي هم عليها إلى الحال التي كان عليها الصحابة بين عشية وضحاها ، ومن أراد ذلك فهو سفيه في عقله بعيد عن الحكمة ؛ لأن حكمة الله عز وجل تأبى أن يكون

---

(١) سورة النحل ، الآية : ١٢٥ .

(٢) سورة العنكبوت ، الآية : ٤٦ .

هذا الأمر ، ويدلك لهذا أن محمداً رسول الله ﷺ وهو الذي ينزل عليه الكتاب نزل عليه الشرع متدرِّجاً حتى استقر في النفوس وكَمُل .

● فرضت الصلاة في المعراج قبل الهجرة بثلاث سنوات، وقيل : سنة ونصف، وقيل : خمس سنين، على خلاف بين العلماء في هذا . . ومع هذا لم تفرض على وضعها الآن، أوّل ما فرضت كانت ركعتين للظهر والعصر والعشاء والفجر، وكانت المغرب ثلاثاً لأجل أن تكون وتراً للنهار، وبعد الهجرة ، وبعد أن أمضى رسول الله ﷺ ثلاث عشرة سنة في مكة زيدت صلاة الحضر فصارت أربعاً في الظهر والعصر والعشاء، وبقيت صلاة الفجر على ما هي عليه؛ لأنها تطول فيها القراءة، وبقيت المغرب ثلاثاً؛ لأنها وتر النهار .

● والزكاة فرضت في السنة الثانية من الهجرة أو فرضت في مكة ، لكنها لم تقدر تقديراً في أنصبائها وواجبها، ولم يبعث النبي ﷺ السعاة لأخذ الزكاة إلا في السنة التاسعة من الهجرة ، فكان تطور الزكاة على ثلاث مراحل :

* **المرحلة الأولى**: في مكة ﴿وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾[1] ولم يبين الواجب ولا مقدار ما يجب فيه ذلك الواجب ، وجعل الأمر موكولاً إلى الناس .

* **المرحلة الثانية**: وفي السنة الثانية من الهجرة بُيِّنت الزكاة بأنصبائها .

* **المرحلة الثالثة**: وفي السنة التاسعة من الهجرة صار النبي ﷺ يبعث السُّعاة إلى أهل المواشي والثمار لأخذها .

فتأمل مراعاة أحوال الناس في تشريع الله عز وجل وهو أحكم الحاكمين .

● وكذلك في الصيام لا يخفى علينا أنه تطور في تشريعه، فكان أول ما

---

(١) سورة الأنعام، الآية : ١٤١ .

فرضه الله يخيِّر الإنسان بين أن يصوم أو يطعم، ثم تعيَّن الصيام وصار الإطعام لمن لا يستطيع الصوم على وجه مستمر.

أقول: إن الحكمة تأبى أن يتغير العالم بين عشية وضحاها، فلا بد من طول النفس، واقبل من أخيك الذي تدعوه ما عنده اليوم من الحقّ، وتدّرج معه شيئاً فشيئاً حتى تنتشله من الباطل، ولا يكن الناس عندك على حدّ سواء، فهناك فرق بين الجاهل والمعاند.

ولعلّ من المناسب أن أضرب أمثلة من حكمة الرسول ﷺ في الدعوة إلى الله، فمن ذلك:

المثال الأول: موقفه ﷺ مع الأعرابي الذي بال في المسجد:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بينما نحن في المسجد مع رسول الله ﷺ إذ جاء أعرابي، فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول الله ﷺ: مَه مَه[١]، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزرموه[٢] دعوه»، فتركوه حتى بال، ثم إن رسول الله ﷺ دعاه فقال له: **«إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول، ولا القذر، إنَّما هي لذكر الله، والصلاة، وقراءة القرآن»** أو كما قال رسول الله ﷺ. قال: فأمر رجلاً من القوم فجاء بدلو من ماء فشنَّه عليه[٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ في صلاة وقمنا معه، فقال أعرابي وهو في الصلاة: اللهم ارحمني ومحمداً، ولا ترحم معنا أحداً،

---

(١) مَه: كلمة زجر وهي لتعظيم الأمر.

(٢) لا تزرموه: أي لا تقطعوا عليه بوله.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الطهارة، باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد، رقم (٢٨٥).

فلما سلَّم النبي ﷺ قال للأعرابي: «**لقد حجرت واسعاً**»، يريد رحمة الله[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: دخل رجل أعرابي المسجد والنبي ﷺ جالسٌ، فصلى، فلما فرغ قال: اللهم ارحمني ومحمداً، ولا ترحم معنا أحداً! فالتفت إليه ﷺ فقال: «**لقد تحجرت واسعاً**»، ثم لم يلبث أن بال في المسجد، فأسرع الناس إليه، فقال النبي ﷺ: «**أهريقوا**[٢] **عليه سجلاً**[٣] **من ماء أو دلواً من ماء**». ثم قال: «**إنما بعثتم ميسرين، ولم تبعثوا معسِّرين**»[٤].

وفي رواية أخرى قال: «يقول الأعرابي بعد أن فقه، فقام النبي ﷺ إليَّ بأبي وأمي، فلم يسبّ ولم يؤنّب ولم يضرب»[٥].

وبعد بيان هذه الروايات، فماذا نقول في هذه الحكمة التي اتخذها الرسول ﷺ مع هذا الأعرابي؟!

في ظني لو أن أحداً من الناس جاء يبول في مسجد من المساجد لنفروا إليه ثباتاً وجميعاً قائلين له: ألا تستحي؟! اتق الله، خف الله.. إلخ. وهذا خطأ.

إننا لا نعتقد أن مؤمناً بالله واليوم الآخر يقوم ويبول في المسجد إلا عن جهل، والجهل له حاله. والأعرابي لا شك أنه جاهل، لأنه جاء من البادية، ولا

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، رقم (٦٠١٠).

(٢) أهريقوا، يعني: أريقوا، أي صبوا عليه.

(٣) سجلاً، يعني: دلواً، والسجل: الدلو الملآىٰ ماءً.

(٤) أخرجه أحمد في المسند (٢/ ٢٣٩)، وأبو داود، كتاب الطهارة، باب الأرض يصيبها البول، رقم (٣٨٠)، والترمذي، كتاب الطهارة، باب ما جاء في البول يصيب الأرض، رقم (١٤٧).

(٥) هذه الرواية عند أحمد في المسند (٢/ ٥٠٣)، وابن ماجة، كتاب الطهارة، باب الأرض يصيبها البول كيف تغسل، رقم (٥٢٩).

يعرف ما يجب من احترام المساجد، ولكن بالحكمة تعلّم هذا الأعرابي وعرف الواجب نحو هذه المساجد. ولو أن هذا الرجل الأعرابي قام من بوله كما زجره الصحابة فماذا يترتب على هذا؟!

١ـ انقطاع بوله وربما يتضرر من حبس البول صحيًّا.

٢ـ تلويث ثيابه، ولو رفع ثوبه عن البول لبدت عورته، وكذلك المسجد ربما يزيد تلوثه.

فانظر أيها الداعي إلى الله، إلى الحكمة وآثارها الطيبة.

المثال الثاني: موقفه ﷺ مع معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه:

عن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه قال: بينا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجل من القوم، فقلت: يرحمك الله! فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: واثكل أمّياه ما شأنكم تنظرون إلي؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يصمتونني، لكنّي سكتّ، فلما صلى رسول الله ﷺ فبأبي هو وأمي، ما رأيت معلّماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه، فوالله ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني، قال: «**إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن**»، أو كما قال رسول الله ﷺ... الحديث[1].

وهنا فائدة فقهية نأخذها من هذا الحديث وهي: إذا تكلم إنسان في صلاته جاهلاً أو ناسياً فصلاته صحيحة.

مثال ذلك: لو أن إنساناً يصلي ثم جاءه آخر فقال له: أين مفتاح البيت أريد

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة، رقم (٥٣٧).

أن أخرج؟! فقال بأنه موجود على نافذة الغرفة، قال ذلك ناسياً، فهل تبطل صلاته أم لا؟!!

إذا كان ناسياً فإن صلاته صحيحة . قال تعالى: ﴿رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾[١] .

تنبيه :

من خلال المثال الأول والمثال الثاني نأخذ فائدتين :

الفائدة الأولى: استعمال اللين مع الجاهل، لأنَّ الجاهل معذور، وإذا علّمته اقتنع بخلاف المعاند.

الفائدة الثانية: أنَّ الإنسان إذا أصابته نجاسة؛ فإنَّه يبادر بإزالتها، حيث إن النبي ﷺ لما قضى الأعرابي بوله أمر بذنوب - أي دلو - من ماء، فأريق عليه ولم يتأخر.

وهكذا ينبغي لك إذا أصابت ثوبك أو بدنك أو مصلاَّك نجاسة أن تبادر بتطهيرها؛ لأنك ربَّما تنسى فتصلي بثوب نجس، أو بدن نجس، أو على مكان نجس.

ونظير ذلك أن النبي ﷺ جيء إليه بصبي ووضعه في حجره؛ لأنّ النبي ﷺ كان رحيماً رفيقاً، فلما وُضع الصبي في حجره بال الصبي في حجره ﷺ «فدعا بماء» والفاء هنا تدل على الترتيب والتعقيب «فأتبعه إياه»[٢]، وهذا يدلّ على أنه ينبغي لك المبادرة بإزالة الأذى والنجاسة.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦ .

(٢) أخرجه البخاري، كاب الوضوء، باب بول الصبيان، برقم (٢٢٢).

المثال الثالث : موقف النبي ﷺ مع الرجل الذي لبس خاتماً من ذهب :

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : أن رسول الله ﷺ رأىٰ خاتماً من ذهب في يد رجل فنزعه فطرحه، وقال : «**يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده**» فقيل للرجل بعد ما ذهب رسول الله ﷺ : خُذ خاتمك انتفع به، قال : لا والله، لا آخذه أبداً وقد طرحه رسول الله ﷺ[1] .

ولننظر كيف عامل النبي ﷺ مرتكب الإثم ، فهذا الرجل إذا قارنت قصته بقصة الأعرابي، وقصة معاوية بن الحكم وجدت بينهما فرقاً .

فهذه القصة فيها شيء من الشدة، لأن الرسول ﷺ هو الذي نزعه، وتوعَّد هذا الرجل بأن هذا الذي وضعه في يده جمرة من النار .

إذن لكل مقام مقال .

المثال الرابع : موقف النبي ﷺ مع أهل بريرة :

عن عروة أن عائشة أخبرته : أن بريرة جاءت تستعينها في كتابتها، ولم تكن قضت من كتابتها شيئاً. قالت لها عائشة : ارجعي إلىٰ أهلك فإن أحبّوا أن أقضي عنك كتابتك ويكون ولاؤك لي فعلت. فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ. وفي رواية : فسمع بذلك رسول الله ﷺ فسألني فأخبرته فقال : «**خذيها فأعتقيها واشترطي لهم الولاء، فإنما الولاء لمن أعتق**» قالت عائشة : فقام رسول الله ﷺ في الناس فحمد الله وأثنىٰ عليه ثم قال : «**ما بال رجال يشترطون شروطاً ليست في كتاب الله، فأيما شرط ليس في كتاب الله فهو باطل وإن كان مائة شرط ، فقضاء الله أحق، وشرط الله أوثق ، وإنما الولاء لمن أعتق**»[2] .

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب اللباس، باب طرح خاتم الذهب، رقم (٢٠٩٠).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المكاتب، باب استعانة المكاتب وسؤاله الناس، رقم (٢٥٦٣). ومسلم، كتاب العتق، باب إنما الولاء لمن أعتق، رقم (١٥٠٤).

والشاهد هنا هذا الإنكار البليغ.. «**ما بال رجال**» وهذا الإنكار يحتمل أن يكون من باب الستر عليهم، ويحتمل أن يكون من باب التغليظ في الإنكار عليهم، كأنهم ليسوا في مقام يسمح بذكر أسمائهم، وإن كان الاحتمال الأول هو الأظهر، وأنه قال ذلك من باب الستر عليهم، لأنه لا ينبغي تعيين الإنسان في الخطب وما أشبه ذلك، فيقال: إن فلاناً قال كذا وكذا، ويُفضح بين الناس.

ومما يستفاد من هذا الحديث قوله ﷺ: «**يشترطون شروطاً ليست في كتاب الله؛ فأيما شرط كان ليس في كتاب الله فهو باطل، وإن كان مائة شرط**».

فأي شرط ليس في كتاب الله أو سنة نبيه، ﷺ فهو شرط باطل مردود على صاحبه.

* فماذا تقولون في القوانين المخالفة للشرع؟ **هل هي باطلة أم لا**؟!

نعم، باطلة مهما كان واضعها!! ويجب رفضها، ولا يجوز لأحد أبداً أن يتمسك بها!

فكل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل وإن كان مائة شرط، فإن قضاء الله أحقّ، أي ما قضاه الله شرعاً فهو أحقّ من غيره، قال تعالى: ﴿**أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ**﴾(١).

أليست هذه القصة فيها شيء من الشدة؟

قال بعض العلماء: لأن النبي ﷺ كان قد قرر من قبل أن الولاء لمن أعتق، فكان في اشتراطهم شيء من المخالفة، فلهذا صار خطاب النبي ﷺ في هؤلاء القوم شديداً.

---

(١) سورة يونس، الآية: ٣٥.

المثال الخامس: موقف النبي ﷺ مع الرجل الذي وقع على امرأته في نهار رمضان:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينما نحن جلوس عند النبي ﷺ إذ جاءه رجل فقال: يا رسول الله هلكتُ. قال: «**مَا لَكَ؟**»، قال: وقعت على امرأتي وأنا صائم. فقال رسول الله ﷺ: «**هل تجد رقبةً تعتقها؟**»، قال: لا. قال: «**فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟**»، قال: لا. قال: «**فهل تجد إطعام ستين مسكيناً؟**» قال: لا. قال: فمكث النبي ﷺ، فبينا نحن على ذلك أُتِيَ النبي ﷺ بعرق فيها تمر ـ والعرق: المِكْتَل ـ قال: «**أين السائل؟**» فقال: أنا. قال: «**خذ هذا فتصدق به**». فقال الرجل: على أفقر مني يا رسول الله؟ فوالله ما بين لابتيها ـ يريد الحرّتين ـ أهل بيت أفقر من أهل بيتي. فضحك النبي ﷺ حتى بدت أنيابه ثم قال: «**أطعمه أهلك**»(١).

انظر إلى هذا الموقف العجيب، جاء هذا الرجل خائفاً يقول: «هلكت»، فذهب غانماً مطمئناً فرحاً بهذا الدين الإسلامي وبهذا اليسر من الداعية الأول لهذا الدين الإسلامي صلوات الله وسلامه عليه.

نعود إلى أصل المسألة التي أحِبّ أن أوكد عليها.

إنني والله مسرور جداً جداً أن أرى غيرة في شبابنا، وحرصاً على إزالة المنكر، وعلى إحقاق الحقّ، وعلى إثبات المعروف، لكنني أودّ والله ـ من كل قلبي ـ أن يستعمل هؤلاء الشباب الحكمة فيما يقدمون عليه، والأمر وإن تأخر قليلاً لكن العاقبة حميدة، فهذا الذي التهبت نار الغيرة في قلبه وتجرأ على ما

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الصوم، باب إذا جامع في رمضان ولم يكن له شيء...، رقم (١٩٣٦). ومسلم، كتاب الصوم، باب تغليظ تحريم الجماع في نهار رمضان على الصائم، رقم (١١١١).

تقتضي الحكمة ألا يتجرأ عليه، لاشك أنه شيء يسرّ قلبه مؤقتاً، لكن يعقبه مفسدة عظيمة، فإذا أخر الأمر حتىٰ يتأنىٰ، وينظر كيف يدخل، وكيف يخرج، حصل بذلك خير كثير، وسلم من عاقبةٍ تكون سيئة له ولأمثاله.

فاستعمال الحكمة في الدعوة إلىٰ الله، وتغيير المنكر، وفي إحقاق الحق والأمر بالمعروف، هو ما تقتضيه الشريعة، وأنت يا أخي لا تنفّذ الشّرع بمقتضىٰ هواك، ولكن بمقتضىٰ شريعة مولاك: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[1].

والغيرة بلا شك خير من موت القلب، لكن الحكمة خير من الجميع، فموت القلب بحيث لا يتأثر الإنسان بمنكر، ولا يتأثر بترك معروف، فهذا والله شرّ، وليس من خصال وصفات الأمة الإسلامية؛ لأن الأمة الإسلامية تأمر بالمعروف وتنهىٰ عن المنكر، وتدعو إلىٰ الله، وعدم استعمال الحكمة هو أيضاً شرّ.

وأما استعمال الحكمة مع حياة القلب والتّحرك للحقّ، فهذا هو الخير.

فأنا أدعو شبابنا ـ أهل الغيرة ـ أن يلتزموا الحكمة في دعوتهم إلىٰ الله ويركزوا عليها.

لست أقول للشباب: لا تتحركوا، ولا تدعوا إلىٰ الله، ودعوا الناس: الفاسق فاسقاً، والمطيع مطيعاً، بل أقول: انكروا المنكر وأثبتوا المعروف، وادعوا إلىٰ الله بقدر ما تستطيعون ليلاً ونهاراً: ﴿اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[2].

لكني أقول وأؤكد علىٰ استعمال الحكمة، والتأني في الأمور، وأن تؤتىٰ

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٢٠٠.

البيوت من أبوابها .

ولنفرض مثلاً أننا رأينا منكراً في مجتمع ما ، فهل من اللائق أن نهجم على هذا المنكر ونكسره أو نمزقه أو نتكلم بشدة مع فاعليه؟ أو من الأليق أن نتكلم باللين واللطف ، فإن أجدى وإلا رفعنا الأمر إلى أناس آخرين يبلغون ولاة الأمر؟ لاشكّ أنَّ التأني هو الأولى ، فعليك باستعمال اللين واللطف ، فإن أجدى في زوال المنكر فذلك المطلوب ، وإلا رفعت الأمر إلى أناس أرفع مني مستوى ، يوصلون الأمر إلى ولاة الأمور ، وبذلك تبرأ الذمة ؛ لأن الله تعالى يقول : ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾[1] .

نحن لو أننا هجمنا على هذا المنكر وكسرنا ما كسرناه ، أو مزقنا ما مزقناه ، فإن الغالب أن تكون النتيجة عكسية ، فلا يحصل المقصود ، ولا ننجوا من الأذى ، وربما يكون هذا وصمة على الدعوة عموماً .

فلهذا أنا أحثكم ـ من هذا المكان ـ وأقول لكم كلاماً واعتبر نفسي مسؤولاً عنه أمام الله عز وجل ، وذلك لأن العامة يقولون ، وأقولها باللسان العامي : (كل مجرب خير من طبيب) ، لأن المجرب وقعت عليه أشياء هو باشرها بنفسه ، لكن الطبيب يصف الدواء ، وهو يفيد وقد لا يفيد .

■ ■ ■ ■ ■

---

(١) سورة التغابن ، الآية : ١٦ .

الضابط الخامس: التآلف والتواد

ثم يجب علينا في هذه الصحوة أن نكون في دين الله إخوة متآلفين متوادين، لأنَّ الله عز وجل يقول: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[١]. والنبي ﷺ قال: «وكونوا عباد الله إخواناً»[٢].

ومقتضى هذه الأخوة ألا يعتدي بعضنا على بعض، وألا يبغي بعضنا على بعض، وأن نكون أمة واحدة غير متفرقة في دين الله في أهوائها وآرائها.

وبناءً على هذا يجب أن ننظر فيما حدث بين الشَّباب، أو بالأصح بين بعض الشباب من نزاعات، هي في الحقيقة يتسع لها دين الإسلام. نزاعات في مسائل اجتهادية يسوغ فيها الاجتهاد، والنصوص تسعها وتحتملها، ولكن بعض الناس يريد أن يلزم عباد الله بما يرى هو أنه الحق. وإن كان غيره مخالفاً له بمقتضى أن ما خالفه فيه هو الحق.

أقول: يوجد في بعض الشباب اليوم الذين منَّ الله عليهم بالهداية، وحرصوا كل الحرص على تطبيق الشريعة، يوجد فيهم شيء من التنافر على خلافٍ يسعهم الاختلاف فيه، لأنه محلّ اجتهاد، والنصوص تحتمل هذا وهذا، ولكن بعض الشباب يريد أن يكون جميع الناس تبعاً لرأيه، فإن لم يتبعوا رأيه فإنه يعتبرهم على خطأ وضلال، وهذا خلاف ما كان عليه أصحاب النبي ﷺ ومن بعدهم من الأئمة.

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٠.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر، رقم (٦٠٦٥)، ومسلم، كتاب البر والصلة، باب النهي عن التباغض والتحاسد والتدابر، رقم (٢٥٥٩).

وأنا أقول لكم من هذا المكان : لو تدبرتم كتب الخلاف لوجدتم أن الخلاف بين العلماء كثير، ولكن كل واحد منهم لا يُضلل الآخر برأيه واجتهاده، بل يرىٰ أنه يجب علىٰ الإنسان أن يتبع الحق وألا يحابي فيه أحداً. نعم، قل الحق؛ ولكن ادعُ الناس إليه باللين والتيسير والسهولة، حتىٰ تصل إلىٰ النتيجة.

فعلىٰ كل شابّ وطالب علم أن يقلد من يرىٰ أنه أقرب إلىٰ الحق في نظره، ويعذر من يخالفه في هذه المسألة إذا كان خلافك معه بمقتضىٰ الدليل.

وأقول: كل إنسان يرىٰ أنه يجب علىٰ الناس أن يتبعوه، فإنه قد اتخذ لنفسه مقام الرسالة!!

ثم نقول: هل من الإنصاف أن تجعل فهمك حُجَّة علىٰ غيرك، ولا تجعل فَهْمَ غيرك حجة عليك؟!

كم من إنسان حاقد علىٰ الإسلام، عدوّ للإسلام، يفرح غاية الفرح أن يجد هذا التفرق في الشباب!! يفرح ويتمنىٰ من كل قلبه أن يجد هذا الشباب الذي اتجه هذا الاتجاه الحي النابض متفرقاً.

إن الله عز وجل يقول: ﴿**وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ**﴾[1]. ويقول عز وجل: ﴿**شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ**﴾[2].

إنني أدعوكم أيها الشباب إلىٰ الألفة وإلىٰ الوحدة علىٰ دين الله عز وجل، وإلىٰ التأني في الأمور، وإلىٰ الحكمة في الدعوة، وبهذا سيكتب لكم النصر إن شاء الله تعالىٰ، لأنكم تكونون علىٰ بينة من أمركم، وعلىٰ بصيرة في دين الله.

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٤٦.

(٢) سورة الشورىٰ، الآية: ١٣.

الضابط السادس: الصبر والاحتساب

إنَّ هؤلاء الشباب شباب الصحوة من ذكور وإناث، يجدون مضايقة في بعض الأحوال. يجدونها في السوق.. يجدونها في المدرسة.. يجدونها في الكلية.. يجدونها في بيوتهم.

إنَّ كثيراً من الشباب يشتكون من أمَّهاتهم ومن آبائهم بأنهم ضيقوا عليهم، وكانوا يصفونهم بأوصاف العيب والقدح.

ولكن ما موقفنا من هذه الأمور، وهذه المضايقات؟!

الواجب علينا أن نصبر ونحتسب، وألا يمنعنا هذا من الدّعوة إلىٰ الله عز وجل؛ لأن الله تعالىٰ بعث محمداً ﷺ بالهدىٰ ودين الحق.

هل النبي ﷺ لما قام يدعو إلىٰ الحق تُرك وشأنه أم أوذي؟!.

هل الرّسل الذين بعثوا قبله تُركوا وشأنهم أم أوذوا؟!

قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾[1]. وقال تعالىٰ: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾[2].

وأذكر لكم بعض الأمثلة من صبر النبي ﷺ حتىٰ نتأسىٰ به صلوات الله وسلامه عليه.

المثال الأول: كانوا يُلقون علىٰ عتبته ﷺ الأنتان والأقذار، ومع ذلك كان

(١) سورة الأنعام، الآية: ٣٤.

(٢) سورة الأحقاف، الآية: ٣٥.

يصبر ويحتسب. ويقول: «أيّ جوار هذا ؟!»[١]، يعني: كيف تؤذونني بهذا الأذىٰ؟! فأيّ جوار يكون هذا الجوار؟!

المثال الثاني: عندما خرج إلىٰ ثقيف في الطائف ومعه زيد بن حارثة يدعو إلىٰ الله، ماذا صنعوا به ﷺ ؟!

أمروا سفهاءهم أن يصطفوا علىٰ الطريق صفين، وأن يرجموه بالحجارة، فرجموه حتىٰ أدْموا عقبه، وخرج عليه الصلاة والسلام، فقال: «**فلم أفق إلا في قرن الثعالب**» فجاءه جبريل ومعه ملك الجبال، فقال له جبريل: هذا ملك الجبال، يُسلِّم عليك فسلِّم عليه، وقال: إن أردت أن أطبق عليهم الأخشبين فعلت. قال النبي ﷺ : «**لا.. لعلَّ الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله!**»[٢].

المثال الثالث: كان النبي ﷺ ساجداً تحت الكعبة يعبد الله في مكان آمن ومن أشد الأمكنة أمناً حتىٰ عند قريش، فالكعبة من أشدّ الأماكن أمناً، حتىٰ إن الرجل كان يجد قاتل أبيه فلا يقتله!

ولكن لما رأوا الرسول ﷺ ساجداً عند الكعبة ماذا فعلوا به؟

أمروا رجلاً منهم أن يأتي بسلا جزور ويضعه علىٰ ظهر الرسول ﷺ وهو ساجد!!

ما تقولون في هذه الأذية والتي ليس لها نظير حتىٰ في تاريخ الجاهلية؟!!

ومع هذا كله فقد صبر واحتسب ﷺ، وبقي ساجداً لله عز وجل حتىٰ جاءت

---

(١) رواه الطبري في تاريخه (٢/ ٣٤٣).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم: آمين والملائكة في السماء...، رقم (٣٢٣١)، ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ من أذىٰ المشركين والمنافقين، رقم (١٧٩٥).

ابنته فاطمة الصغيرة رضي الله عنها فألقت الأذىٰ عن ظهر أبيها، ولما أتم الصلاة رفع يديه يدعو علىٰ قريش[١].

أيها الشباب: اصبروا وصابروا ورابطوا علىٰ الطاعة، واعلموا أن الله مع الذين اتقوا، والذين هم محسنون.

ولكن هل مع هذا الصبر ندعوا أهلنا أم نغضب ونسكت؟!

ندعو أهلنا ولا نيأس؛ ولكن بالحكمة واللين، وعدم الشدة والغلظة؛ لأن بعض الناس قد يكون شديداً لقوة غيرته في دين الله فيفسد أكثر مما يُصلح، فالواجب أن يكون عند الإنسان حكمة، يقدِّر الأمور فيضعها في مواضعها.

واعلم أن الناس لن يهتدوا بين عشية وضحاها إلا ما شاء الله. لكن جرت سنة الله سبحانه وتعالىٰ، أن الأمور تأتي شيئاً فشيئاً؛ فالنبي ﷺ بقي في مكة ثلاث عشرة سنة وهو يدعو الناس، ومع ذلك لم تنجح دعوته النجاح التام. وبقي في المدينة، ولم يتم الدين إلا بعد ثلاث وعشرين سنة من البعثة.

فأنت لا تظن أن الناس سيرجعون عما كانوا عليه بين عشية وضحاها أبداً!! لابد أن يكون هناك صبر ومصابرة ومرابطة علىٰ الخير، حتىٰ يأتي الله سبحانه وتعالىٰ بأمره.

وكثيراً ما تَرِدُ عليَّ مسائل يسألون عن: هل أقاطعهم؟ هل أكسّر الراديو؟ هل أكسّر المسجل؟ هل أكسّر التلفزيون؟ هل أفعل كذا؟ هل أفعل كذا؟

فأقول: ادع إلىٰ سبيل ربك بالحكمة، فإن لم يحصل المقصود حينئذ، فلا

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الوضوء، باب إذا ألقي علىٰ ظهر المصلي قذرٌ. . .، رقم (٢٤٠)، ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ من أذىٰ المشركين والمنافقين، رقم (١٧٩٤).

يجوز لك أبداً أن تبقىٰ مع أهل المعصية علىٰ معصيتهم. لست أقول: لا يجوز أن تبقىٰ معهم في دارهم، ولكن أقول: لا يجوز أن تبقىٰ معهم علىٰ معصيتهم؛ بل تخرج من الحجرة إلىٰ حجرة أخرىٰ مثلاً؛ لأن الإنسان الذي يبقىٰ مع أهل المعاصي في معصيتهم هو مشارك لهم فيها، يقول الله تعالىٰ: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾[1].

فعليك أن تصبر وتصابر والذي لا يصلح اليوم يصلح غداً، وابدأ بالأهون فالأهون في تهذيب أخلاق الأهل، وأنا واثق بحول الله أن الإنسان إذا صبر وصابر ورابط، فإن مآله الفلاح. قال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[2].

لذا فإني شخصياً أحث الشاب علىٰ الصبر والمصابرة، وأقول له: ما دام بقاؤك يفيد ولو شيئاً بعد شيء فهذا خير؛ لأننا كما نعلم أن البناء أبطأ من الهدم.

فلو افترضنا أننا أمام قصر مشيد وقوي وكبير، وأردنا أن نهدمه فكم يستغرق هدمه إذا سلطنا عليه عشرة (تراكتورات)؟ سينهدم في يوم واحد، لكن عند البناء قد يستغرق ثلاثة أعوام أو أكثر.

لذا فيجب أن نقدر الأمور المعقولة بالأمور المحسوسة، فإذا كان بناء القصر يستغرق ثلاث سنوات وهدمه ثلاث ساعات، كذلك فإن بناء الأمم في دياناتها وأخلاقها يستغرق مدة طويلة، فعلينا بالصبر والمصابرة.

كما أنني أقول: إنّ هؤلاء الأهل الذين يجدون في أبنائهم وبناتهم اتجاهاً

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٤٠ .

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٢٠٠ .

سليماً، لا يحلّ لهم أن يقفوا أمام دعوتهم للحق، بل يشكرون الله على هذه النعمة، أن جعل من ذريتهم من يدلّهم إلى الخير ويأمرهم به، ويحذرهم من الشر وينهاهم عنه، فإن هذا والله أكبر من نعمة المال، وأكبر من نعمة القصور والمراكب وغير ذلك.

فعليهم أن يحمدوا الله، ويشجعوا أبناءهم وبناتهم، وأن يتقبلوا ما يقولون، وإن كان فيه شيء من الشدة والخروج عن الاعتدال، فإن الأبناء إذا رأوا تقبلاً، فإن ذلك يهوِّن من غلوائهم وغلوّهم.

لكن الذي يجعل الشاب الداعية يتضجر ويتضايق أن بعضهم لا يجد من أهله أي قبول، فالواجب على أهله أن يتقبلوا منه، وأن يعاملوه بالإرشاد والمسلك الحسن، حتى يتم الأمر لهؤلاء ولهؤلاء.

أيها الشباب!! أيها الدعاة!!

على كل داعية إلى الله أن يكون:

* صابراً على دعوته، صابراً على ما يدعو إليه.

* صابراً على ما يعترض دعوته

* صابراً على ما يعترضه هو من الأذى.

■ ■ ■ ■ ■

الضابط السابع: التخلق بالأخلاق الفاضلة

علىٰ الداعية أن يتمسك بأخلاق الداعية، بحيث يظهر عليه أثر العلم في معتقده وفي عبادته، وفي هيئته وفي جميع مسلكه، حتىٰ يمثل دور الداعية إلىٰ الله عز وجل. أما أن يكون علىٰ العكس من ذلك، فإن دعوته سوف تفشل، وإن نجحت فإنّما نجاحها قليل.

* فما ظنكم برجل يحذّر من المعاملات الربوية، ويقول لمن يأكل الربا: إنك محارب لله ورسوله، لأن الله عز وجل يقول في القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾[١]. وهذا الداعية يعظ الناس، ويذكرهم ويخوفهم بالله، ثم يذهب يتعامل بالربا!!.

هل هذا من أخلاق الداعية؟! أبداً!!

* وهذا رجل آخر: يُحذر الناس من ترك الجماعة، ويأمر بالصلاة مع الجماعة، ويقول: إنّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ أثقل صلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبواً**... الحديث»[٢].

ثم نجده هو نفسه يتخلف عن صلاة العشاء والفجر.

هل هذا من أخلاق الداعية؟! أبداً!!

---

(١) سورة البقرة، الآيتان: ٢٧٨، ٢٧٩.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الأذان، باب فضل العشاء في جماعة، رقم (٦٥٧)، ومسلم، كتاب المساجد، باب فضل صلاة الجماعة، رقم (٦٥١).

* **ورجل ثالث يقول**: يا عباد الله، إياكم والغيبة، فإنّ الغيبة من كبائر الذنوب، وقد شبه الله تعالىٰ المغتاب برجل يأكل لحم أخيه وهو ميت، ويحذر غاية التحذير من الغيبة، ولكنه يجد في مجالسه غيبة الناس فاكهة له!! . . هذا ليس من أخلاق الداعية.

* **ورجل رابع**: يحذر الناس من النميمة - والنميمة هي نقل كلام الناس بعضهم في بعض من أجل الإفساد بينهم - فيحذر ويقول: إنّ النميمة من أسباب عذاب القبر؛ لأنه صحّ عن النبي ﷺ أنه مرَّ بقبرين فقال: «**إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير. أما أحدهما فكان لا يستتر من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة**»[1]. ولكنه مع ذلك يسعىٰ بين النّاس بالإفساد والنميمة، ولا يبالي بذلك!!!

هل هذا من أخلاق الداعية؟! أبدًا!!

فعلىٰ الداعية أن يكون متخلقاً بما يدعو إليه من عبادات أو معاملات أو أخلاق وسلوك حتىٰ تكون دعوته مقبولة، وحتىٰ لا يكون من أول من تسعَّر بهم النار - والعياذ بالله -.

أيها الإخوة: إننا إذا نظرنا في أحوالنا وجدنا أننا في الواقع قد ندعو إلىٰ شيء، ولكننا لا نقوم به! وهذا لاشك أنه خلل كبير. اللهم إلا أن يحول بيننا وبينه النّظر إلىٰ ما هو أصلح، كما لو قام رجل يدعو للجهاد في سبيل الله ويحثّ الناس عليه، ويرغِّبهم فيه بالمال والبدن بقدر الطاقة، لكنه يشتغل بمصالح أهم، فإنه في هذه الحال لا يقال: إنه لم يتحلّ بما دعا إليه. لنفرض أن الرّجل يدعو إلىٰ

(١) أخرجه البخاري، كتاب الوضوء، باب من الكبائر ألا يستتر من بوله، رقم (٢١٦)، ومسلم، كتاب الطهارة، باب الدليل علىٰ نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه، رقم (٢٩٢).

الجهاد في سبيل الله، ولكن البلد الذي هو فيه محتاج إلى العلم الشرعي ونشره بين الناس، فهذا قد يكون جهاده بالعلم والبيان أفضل من جهاده بالرمح والسّنان؛ لأن لكل مقام مقالاً، فالشيء الفاضل قد يكون مفضولاً، لأمور تجعل المفضول راجحاً.

ولهذا كان الرّسول عليه الصلاة والسلام يدعو إلى بعض الخصال، ولكن يشتغل أحياناً بما هو أهمّ منها، وربما يصوم حتى يُقال لا يفطر، ويفطر حتى يُقال لا يصوم.

أيها الإخوة.. إنني أريد من كل داعية أن يكون متخلقاً بالأخلاق التي تليق بالداعية، حتى يكون داعية حقًّا، وحتى يكون قوله أقرب إلى القبول.

■ ■ ■ ■ ■

الضابط الثامن: كسر الحواجز بين الداعية وبين الناس

إن كثيراً من إخواننا الدعاة إذا رأىٰ قوماً علىٰ منكر قد تحمله الغيرة وكراهة هذا المنكر علىٰ ألا يذهب إليهم ولا ينصحهم، وهذا خطأ!! هذا ليس من سبيل الحكمة أبداً. بل الحكمة أن تذهب وتدعو وتبلغ، وترغِّب وترهِّب، ولا تقل هؤلاء فسقة لا يمكن أن أجلس معهم!!

* إذا كنت أنت أيها الداعية لا ترغب أن تجلس مع هؤلاء، ولا تمشي معهم، ولا تذهب إليهم في الدعوة إلىٰ الله. فمن الذي يتولاهم؟!

أيتولاهم أحد مثلهم؟! أم يتولاهم قوم لا يعرفون ؟ !

إنه ينبغي للداعية أن يصبر نفسه، وأن يكرهها، وأن يكسر الحواجز بينه وبين الناس، حتىٰ يتمكن من إيصال دعوته إلىٰ من هم بحاجة إليها، أما أن يستنكف ويستكبر، ويقول: إن جاءني أحد بلَّغته الدعوة، وإن لم يأتني أحد فلست بملزوم! فإن هذا خلاف ما كان الرسول ﷺ يفعله.

والنبي ﷺ كما هو معلوم لمن يقرأ التاريخ، كان يذهب في أيام منىٰ إلىٰ المشركين في أماكنهم ويدعوهم إلىٰ الله عز وجل، وقد أُثر عنه أنه ﷺ قال: «**هل من رجل يحملني إلى قومه لأبلغ كلام ربِّي، فإن قريشاً منعوني أن أبلغ كلام ربي عز وجل**»[1].

فإذا كان هذا دأب نبينا وإمامنا وقدوتنا محمد ﷺ، فإنّه من الواجب علينا أن نكون مثله في الدعوة إلىٰ الله.

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٣٩٠)، وأبو داود، كتاب السنة، باب في القرآن، رقم (٤٧٣٤)، والترمذي، كتاب فضائل القرآن، رقم (٢٩٢٥)، وابن ماجة، كتاب المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية، رقم (٢٠١).

الضابط التاسع: استعمال الرفق واللين

إن علينا أن نستعمل في دعوتنا إلى الله عز وجل الرفق واللين ما أمكن ذلك، لأن النبي ﷺ قال: «يا عائشة! إنّ الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على سواه»(١). وقد امتن الله سبحانه وتعالى على نبيه ﷺ حيث جعله ليناً لعباد الله، فقال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾(٢).

وقس أنت الناس بنفسك، لو أن رجلاً خاطبك في أمر من الأمور بعنف، لرأيت من نفسك داعياً يدعوك إلى أن تقابله بمثل ما تصرف به معك، ولألقى الشيطان في قلبك أن هذا الرجل لا يريد النصح وإنما يريد الانتقاد! والإنسان إذا شعر بأن من يخاطبه يريد الانتقاد فإنه لن ينصاع إلى توجيهه، ولا دعوته، لكن إذا جاء وتكلم مع الشخص بالرفق واللين وقال له: إن هذا أمر لا يصلح! ثم إذا سدّ عليه الباب الحرام فتح له باباً آخر حلالاً، حتى ييسِّر عليه، لحصل بذلك على خير كثير.

وهذا الذي قلته كان من توجيه الله سبحانه وتعالى، ومن توجيه النبي ﷺ، ومن حالات الرسول ومقاماته.

أضرب لكم مثلاً بقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة، باب فضل الرفق، رقم (٢٥٩٣).
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

انـظُرْنَا﴾(١) . فإن الله تعـالىٰ لما نهـاهـم عن كلـمـة أرشدهم إلىٰ كلمة بدلاً عنها. فقـال: ﴿لا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انـظُرْنَا﴾ . فأنت إذا سددت علىٰ الناس باباً قد حرم الله عليهم الولـوج منه، فـافتح لهم باب الحل ؛ لأن النـاس لابد لهم أن يتحركـوا ولابد لهم أن يعملوا كما جاء في الحديث : «أصدق الأسماء حارث وهمام»(٢) .

أمـا النبي ﷺ فإنه سلك هذا المسلك ؛ حينما جيء إليه بتمر جيد، فقـال: «أكلُّ تمر خـيـبـر هكذا؟ قـالوا: لا. ولكننا نأخـذ الصـاع من هذا بـالصـاعين، والصاعين بالثلاثة، فقال: لا تفعل، بع الجمع بالدراهم، ثـم ابتع بالدراهم جنيباً»(٣) . فـأرشدهـم النبي ﷺ إلىٰ الطريق الحلال، إلىٰ أن يبيعوا التمـر الرديء بالدراهم، ويأخـذوا بالدراهم تمراً جـيداً، فلمّا سـدَّ عليـهـم البـاب الممنوع فتح لهم البـاب الجائز.

فينبغي للداعية إلىٰ الله عز وجل إذا ذكر للناس ما كان ممنوعاً أن يفتح لهم ما كان مباحاً.

أمـا الرفق واستعمـاله فإن من تتبع هدي النبي ﷺ وجده ﷺ رفيـقاً بالأمـة. وأبرز مثل لذلك ؛ قصـة الأعرابي الذي دخل المسجد فتنحىٰ إلىٰ ناحية منه وأخذ يبـول فيهـا، فقـام الناس إليه يزجرونه لأنه أتىٰ أمراً نكراً عظيماً، ولكن النبي ﷺ زجرهم فسكتوا. فلما قضىٰ بوله أمر النبي ﷺ أن يراق عليه ذنوب من ماء فتزول بذلك مفسـدة النجاسة، ثـم دعا الأعـرابي فقال له: «إن هذه المسـاجد لا يصلح فيهـا

---

(١) سورة البقرة، ، الآية: ١٠٤ .

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ٣٤٥)، وأبو داود، كتاب الأدب، باب في تغيير الأسماء، رقم (٤٩٥٠).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب البيوع، باب إذا أراد بيع تمر بتمر خير منه، رقم (٢٢٠١، ٢٢٠٢). وأخرجه مسلم، كتاب المساقاة، باب بيع الطعام مثلاً بمثل، رقم (١٥٩٣).

شيء من الأذى أو القذر، وإنما هي للصلاة والتكبير وقراءة القرآن»[١] . أو كما قال النبي ﷺ هكذا جاء في الصحيح، وفي مسند الإمام أحمد أن هذا الرجل قال: «اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً»[٢]؛ لأن محمداً ﷺ قابله باللين والتعليم.

فالذي أدعو إخواني إليه أن يسلكوا هذا السبيل في الدعوة إلى الله وإنكار المنكر، فيحصل لهم بالرفق ما لا يحصل بالعنف.

■ ■ ■ ■ ■

(١) سبق تخريجه صفحة: ٢٧.

(٢) سبق تخريجه صفحة: ٢٨.

الضابط العاشر: اتساع صدور الشباب للخلاف بين العلماء

إن علىٰ الشباب الدعاة والملتزمين أن تتسع صدورهم لما يحصل من اختلاف بين العلماء أو غيرهم، وأن يقابلوا هذا بالاعتذار عمن سلك سبيلاً خطأً في اعتقادهم، وهذه نقطة مهمة جداً؛ لأن بعض الناس يتتبع أخطاء الآخرين، ليتخذ منها ما ليس لائقاً في حقهم، ويشوش علىٰ الناس سمعتهم، وهذا من أكبر الأخطاء، وإذا كان اغتياب العامي من الناس من كبائر الذنوب فإن اغتياب العالم أكبر وأكبر، لأن اغتياب العالم لا يقتصر ضرره علىٰ العالم، بل عليه وعلىٰ ما يحمله من العلم الشرعي، والناس إذا زهدوا في العالم أو سقط من أعينهم تسقط كلمته أيضاً من أعينهم. وإذا كان يقول الحقّ ويهدي إليه، فإن غيبة هذا الرجل لهذا العالم تكون حائلاً بين الناس وبين علمه الشرعي، وهذا خطره كبير وعظيم.

أقول: إن علىٰ هؤلاء الشباب أن يحملوا ما يجري بين العلماء من الاختلاف علىٰ حسن النية، وعلىٰ الاجتهاد، وأن يعذروهم فيما أخطؤوا فيه، ولا مانع أن يتكلموا معهم فيما يعتقدون أنه خطأ، ليبينوا لهم هل الخطأ منهم أو من الذين قالوا إنهم أخطؤوا؟! لأن الإنسان أحياناً يتصور أن قول العالم خطأ، ثم بعد المناقشة يتبين له صوابه. والإنسان بشر: **«كل ابن آدم خطّاء، وخير الخطائين التوابون»**[1].

أما أن يفرح بزلة العالم وخطئه ليشيعها بين الناس فتحصل الفرقة، فإنّ هذا

---

(١) أخرجه أحمد (٣/١٩٨)، والترمذي، كتاب صفة القيامة، رقم (٢٤٩٩)، وابن ماجة، كتاب الزهد، باب في ذكر التوبة، رقم (٤٢٥١).

ليس من طريق السلف.

وكذلك أيضاً ما يحصل من الأخطاء في الأمراء لا يجوز لنا أن نتخذ ما يخطئون فيه سلماً للقدح فيهم في كل شيء ونتغاضى عمّا لهم من الحسنات؛ لأن الله يقول في كتابه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾[1]. يعني لا يحملكم بغض قوم على عدم العدل، فالعدل واجب، ولا يحل للإنسان أن يأخذ زلات أحد من الأمراء أو العلماء أو غيرهم فيشيعها بين الناس، ثم يسكت عن حسناتهم، فإن هذا ليس بالعدل.

وقس هذا الشيء على نفسك، لو أن أحداً سُلِّطَ عليك وصار ينشر زلاتك وسيئاتك، ويخفي حسناتك وإصاباتك، لعددت ذلك جناية منه عليك. فإذا كنت ترى ذلك في نفسك؛ فإنه يجب عليك أن ترى ذلك في غيرك، وكما أشرت آنفاً إلى أنّ علاج ما تظنه خطأ أن تتصل بمن رأيت أنه أخطأ، وأن تناقشه، ويتبين الموقف بعد المناقشة.

فكم من إنسان بعد المناقشة يرجع عن قوله إلى ما يكون هو الصواب، وكم من إنسان بعد المناقشة يكون قوله هو الصواب، وظننا أنه هو الخطأ. **«فالمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً»**[2]. وقد قال النبي ﷺ: **«من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه»**[3] وهذا هو العدل والاستقامة.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٨.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضاً، رقم (٦٠٢٦)، ومسلم، كتاب البر والصلة، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، رقم (٢٥٨٥).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول، رقم (١٨٤٤).

الضابط الحادي عشر: تقييد العاطفة بما يقتضيه الشرع والعقل

ينبغي لأهل هذه اليقظة والحركة المباركة ألا تحملهم العاطفة، فتصدهم عن التعقل، وعن السير على مقتضى الشرع، لأن العاطفة إذا لم تكن مقيدة بما يقتضيه الشرع والعقل، فإنها تكون عاصفة، ويترتب عليها من الضرر أكثر مما يترتب عليها من النصح، لذلك يجب أن يكون نظرنا بعيداً، ولست أريد بهذا أن نسكت على باطل، أو أن نؤيد باطلاً.

ولكنّي أريد أن نأتي البيوت من أبوابها، وأن نحاول بقدر استطاعتنا سلوك سبيل الحكمة في إزالة هذا الباطل، والقضاء عليه؛ لأن سلوك طريق الحكمة وإن طال فإنّ ثمرته ونتيجته تكون مرضية للجميع.

ربما الغيرة تطفئ لهيب النار، لكن لا تطفئ الجمر الذي قد يتّقد فيما بعد.

لذلك أحث إخواني وأبناءنا الشباب أصحاب هذه الحركة وهذه اليقظة على التأني، وبُعد النظر والتعقل، وأن يجعلوا تصرفاتهم كلها على ما تقتضيه الشريعة، وأن ينظروا كيف كانت حكمة النبي ﷺ في الدعوة إلى الله، وتغيير المنكر، حتى يأخذوا منه أسوة حسنة، فنعم الأسوة برسول الله ﷺ.

فأقول لإخواني من شباب الصحوة الإسلامية:

إذا كنا نريد أن نوقظ الأمة الإسلامية من رقدتها ومن غفلتها، فإنه يجب علينا أن نسير بخطط ثابتة وعلى أسس راسخة؛ لأننا نريد أن يكون الحكم لله، ونريد أن يثبت دين الله في أرض الله على عباد الله، وهذه غاية عظيمة، ولكن بالعاطفة فقط لن يتحقق ذلك، فيجب أن تقيد عاطفتنا بما يقتضيه الشرع والعقل.

الضابط الثاني عشر: إقامة الزيارات والرحلات بين الشباب

أحثُّ الشباب على إقامة الزيارات فيما بينهم حتى تتوطد الألفة والمحبة بين القلوب، وعليهم أن يدرسوا أحوالهم وأحوال أمتهم، ليكونوا كقلب واحد، ورجل واحد، وما أعظم ثمرة الزيارات، وإذا قُرنت برحلات قريبة أو بعيدة فإن لها أثراً كبيراً، وعلى المربين من الأساتذة والمديرين قسط كبير من هذا التوجيه.

■ ■ ■ ■ ■

الضابط الثالث عشر: عدم اليأس من كثرة المفاسد

علينا ألا نيأس من صلاح الأمة إذا رأينا كثرة المفاسد فيها، ورأينا قوة من يقاوم الحق، فإن الحق كما قال ابن القيم رحمه الله:

الحق منصـــور وممتـــحن فـــلا
تعـــجب فـــهـــذي سنةُ الرحـــمن

لابدّ من مصارعة الباطل للحق: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾[1].

المجـرمـون يريدون إضـلال الناس وتعـمـيـة الحق، ويريدون التـسلط على الناس، وإسكاتهم، لكن الله يقـول: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا﴾. لمن أراد أن يضلـه أعداء الأنبياء ﴿وَنَصِيرًا﴾. لمن أراد أن يردعه أعداء الأنبياء.

فـلا يجـوز لنا أن نيـأس، بل علينا أن نُطيـل النفس، وأن ننتظر، وسـتكون العاقبة للـمتقين. وذلك لأنه يوجد أناس يريدون أن يبدلوا أفكار الشباب السليمة بأفكار رديئة، وهم يحاولون تحقيق هذا الـهدف الذي يذهبون إليه، حتى يضلوا الناس ويشككوهم، ويصدوهم عمـا هم عليه من الحق، ولكـن ستكون الدائرة عليهم، فكل إنسان يريد أن ينابذ الحق بأفكاره، فـستكون الدائرة عليـه؛ لأن الله تعالى ناصر دينه وكتابه.

فـالأمل دافع قوي للمضي في الدعوة والسعي في إنجاحها، كما أنَّ اليأس سبب للفشل والتأخر في الدعوة.

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٣١.

وانظر إلىٰ أمل النبي ﷺ الكبير، ونظره البعيد في أشد يوم وجده من قومه، وذلك يوم رجوعه من الطائف حين دعاهم إلىٰ الله تعالىٰ فردوا دعوته، وأغروا به سفهاءهم، فلما بلغ «قرن الثعالب» ناداه جبريل عليه السلام فقال: إن الله قد سمع قول قومك وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، قال النبي ﷺ: **«فناداني ملك الجبال فسلَّم علي ثم قال: يا محمد، ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين»**. فقال النبي ﷺ: **«بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً»**[١].

■ ■ ■ ■ ■

(١) سبق تخريجه صفحة: (٣٩).

الضابط الرابع عشر: الاتصال بولاة الأمور

علينا أن يكون لنا اتصال بولاة الأمور من الأمراء وحكام القضاء، ورجال الهيئات، وغير ذلك من رؤساء المصالح الحكومية، وألا نجفوهم ونشعر بأننا في وادٍ وهم في وادٍ، لأنه متىٰ حلّ بنا هذا الشعور، فإن الإصلاح قد يكون متعذراً، ولكن لنتواضع للوصول للحق. **«فإن من تواضع لله رفعه»**(١).

ونحن إذا صار لنا اتصال بولاة الأمور وحكام القضاء ورؤساء الهيئات ممن يتولون أمور المسلمين وحصل التفاهم بيننا وبينهم، فلا بد أن تكون النتيجة طيبة بإذن الله عز وجل.

والله أسأل أن يجمع قلوبنا، ويجعلنا من المتحاكمين إلىٰ الله ورسوله، وأن يخلص لنا النية، ويبيِّن لنا ما خفي علينا من شريعة الله، إنه جواد كريم. والحمد لله رب العالمين. وأصلي وأسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين..

■ ■ ■ ■ ■

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة، باب استحباب العفو والتواضع، رقم (٢٥٨٨).

القسم الثاني

توجيهات إلى شباب الصحوة

أسئلة وأجوبة

حكم الدعوة إلى الله

١ هل الدعوة إلى الله واجبة على كل مسلم ومسلمة، أم تقتصر على العلماء وطلاب العلم فقط؟ وهل يجوز للعامي أن يدعو إلى الله؟

* إذا كان الإنسان على بصيرة فيما يدعو إليه، فلا فرق بين أن يكون عالماً كبيراً يشار إليه، أو طالب علم مجداً في طلبه، أو عامياً، لكنه علِمَ المسألة علماً يقيناً، لأن الرسول ﷺ يقول: «بلغوا عني ولو آية»[1] . ولا يُشترط في الداعية أن يبلغ مبلغاً كبيراً في العلم. لكن يُشترط أن يكون عالماً فيما يدعو إليه. أمّا أن يقوم عن جهل ويدعو بناء على عاطفة عنده فإن هذا لا يجوز.

ولهذا نجد من الإخوة الذين يدعون إلى الله وليس عندهم من العلم إلا القليل، نجدهم لقوة عاطفتهم يحرمون ما لم يحرمه الله، ويوجبون ما لم يوجبه الله على عباده. وهذا أمر خطير جداً؛ لأن تحريم ما أحل الله كتحليل ما حرم الله، فهم إذا أنكروا على غيرهم تحليل هذا الشيء فغيرهم ينكر عليهم تحريمه أيضاً، لأن الله يقول: ﴿وَلا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ (١١٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[2] .

أمّا العامي فلا يدعو وهو لا يعلم، بل لابد أولاً من العلم، لقوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾[3] . فلابد أن يدعو إلى الله على بصيرة لكن الشيء المنكر البين، أو المعروف البين، فله أن يأمر به إذا كان معروفاً، وينهى عنه إذا كان منكراً.

---

(١) سبق تخريجه صفحة: (١٦).

(٢) سورة النحل، الآيتان: ١١٦، ١١٧.

(٣) سورة يوسف، الآية: ١٠٨.

أما الدعوة فلابد أن تُسبق بعلم، لأن من دعا بلا علم فإنه يفسد أكثر ما يصلح، كما هو ظاهر. فالواجب أن يتعلم الإنسان أولاً ثم يدعو ثانياً.

أما المنكرات الظاهرة، والأمر بالمعروف الظاهر، فهذا يؤمر بالمعروف فيه، وينهىٰ فيه عن المنكر.

الفرق بين العالم والداعية

٢ ما الفرق بين العالم والداعية ؟

* الفرق بين العالم والداعية ظاهر.

فالداعية: هو الذي يسعىٰ لإيصال الشرع إلىٰ عباد الله ويدعوهم إليه بالترغيب تارة، وبالترهيب تارة أخرىٰ.

والعالم: هو الذي أعطاه الله علماً، وقد يكون داعية، وقد لا يكون داعية، لكنه إذا لم يكن داعية كان ناقصاً في علمه جداً، ولم يكن وارثاً لرسول الله ﷺ تمام الميراث، لأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، لم يورثوا درهماً ولا ديناراً، إنما ورثوا العلم، قال ﷺ: «**إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذ به، فقد أخذ بحظ وافر**»(١). فمن أخذ بالعلم ودعا إلىٰ الله فهو وارث حقاً من ميراث الرسل بقدر ما قام به من شرائعهم.

أما قول البعض: إنه يمكن أن يكون داعية بلا علم، فإن أراد داعية بلا علم غزير يستطيع أن يُفتي ويناظر ويستنبط المسائل من أدلتها، فيمكن أن يُقبل منه هذا القول، وأما أن يكون داعية وهو لا يعلم ما يدعو به، ولا ما يدعو إليه، فإن هذا

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب العلم، باب الحث علىٰ طلب العلم، رقم (٣٦٤١). وابن ماجه، المقدمة، باب فضل العلماء والحث علىٰ طلب العلم، رقم (٢٢٣)، وأخرجه الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه علىٰ العبادة، رقم (٢٦٨٢).

لا شك أنه لا يكون. وأنا أحذر أن يكون أحد يدعو إلى الحقّ على هذا الوجه؛ لأن ما يفسده أكثر مما يصلحه. كما هو مشاهد.

مثل المؤمنين في توادهم

٣ هل يصح في باب الاهتمام بأمر المسلمين حديثٌ، لأن كثيراً من الدعاة يذكرون حديث «من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم»[١]؟

* هذا من الأحاديث المشهورة بين الناس، ولفظه لا أعرف هل صحّ عن النبي ﷺ أم لم يصح؟! ولكن معناه صحيح، لأنّ الإنسان الذي لا يهتم بأمر المسلمين هو في الحقيقة ناقص الإسلام؛ لأن النبي ﷺ قال فيما صح عنه: **«مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر»**[٢]. وقال ﷺ: **«المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضاً»**[٣]. وهذان الحديثان وأمثالهما بمعنى هذا القول المشهور، والذي لا يحضرني الآن هل هو من قول الرسول ﷺ أو هو من أقوال بعض العلماء.

لابد للداعية أن يكون عنده إلمام بكل شيء

٤ هل يجب أن يكون الداعية على بصيرة من العلم؟

* كلمة الداعية كما يعرفها أهل اللغة: صيغة مبالغة؛ لأن التاء لا تزاد في اسم الفاعل أو صيغة المبالغة إلا للمبالغة كما يقال: علاَّمة أي كثير العلم.

فالداعية معناه: مَنْ صنعته الدعوة إلى الله عز وجل، فهذا لابد أن يكون

(١) هذا الحديث ضعفه الألباني، انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة: (١/ ٣٠٩ـ ٣١٢).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، رقم (٦٠١١)، ومسلم، كتاب البر والصلة، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم، رقم (٢٥٨٦).

(٣) سبق تخريجه صفحة: ٥١.

عنده إلمام واسع بالعلم.

أما من يدعو إلىٰ مسألة معينة، كما لو تريد أن تدعو شخصاً لحضور صلاة الجماعة، فهذا يكفي أن تعلم أن حضور الجماعة واجب، وأن التخلف عنها معصية لله عز وجل ولرسوله ﷺ. وأن التخلف عنها خروج عن سبيل المؤمنين، فإن المؤمنين في صلاة الجماعة كما وصفهم عبد الله بن مسعود. «لا يتخلف عنها إلا منافق، أو مريض، ولقد كان الرجل يؤتىٰ به يهادىٰ بين الرجلين حتىٰ يقام في الصف»[1].

فأنت بإمكانك أن تدعو هذا الرجل المتهاون بصلاة الجماعة إلىٰ صلاة الجماعة، ما دمت تعلم ما ورد فيها من نصوص حتىٰ تكون علىٰ بصيرة من الأمر. لكن لا تدعو الناس وتحذرهم من أن يقعوا في المعاملات المحرمة، وأنت لا تعرف عن هذه المعاملات شيئاً.

فالمهم أن الداعية بوصفه داعية، هو الذي عنده إلمام واسع بالعلم، حتىٰ تكون مهنته الدعوة. وأما رجل يدعو إلىٰ مسألة معينة، فكل من علم حقاً عليه أن يدعو الناس إليه، ولا ينافي ما قلنا من اشتراط علم الداعية بما يدعو إليه، لأنك ستدعو إلىٰ مسألة معينة وأنت علىٰ علم بها، وكما قال النبي عليه الصلاة والسلام: «بلغوا عني ولو آية»[2].

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب المساجد، باب صلاة الجماعة من سنن الهدىٰ، رقم (٦٥٤).

(٢) سبق تخريجه صفحة: ١٦.

بلغوا عني ولو آية

٥ ما مفهوم قول النبي ﷺ: «بلغوا عني ولو آية»[١]؟ لأنّ هناك أناساً يتخذون هذا الحديث مسلكاً في دعوتهم.

* التوجيه لهذا الأمر أن الرسول ﷺ قال: «بلغوا عني» وهذا معناه أن نعلم علم اليقين أن هذا المبلَّغ من كلام الرسول عليه الصلاة والسلام، أو من فعل الرسول عليه الصلاة والسلام، أو من إقرار الرسول عليه الصلاة والسلام لأنه قال: «بلغوا عني». يعني: عنه هو، فالشيء الذي لا يعلمه الإنسان ثم ينسبه إلى الرسول ﷺ ما بلغ عنه بل أتى به من كيسه، وحينئذ يكون في هذا الحديث دليل على أنه لا يجوز للإنسان أن يأتي بكلام لم يثبت عن رسول الله ﷺ وينسبه إلى رسول الله ﷺ.

هل التدريس من الدعوة إلى الله؟

٦ هل تدريس العلوم الشرعية في المدارس والجامعات يعتبر من باب الدعوة إلى الله علماً بأن المدرس يتقاضى راتباً على ذلك؟

* لا شكّ أن تعليم الشرع من الأمور المستحبة وهو من طلب العلم، لكن كونه دعوة إلى الله عز وجل، يتوقف على حال المدرس، فإذا كان هذا المدرس يستغل فرصة وجوده بين الطلبة بتوجيههم إلى الخير، ويكون قدوة صالحة في عمله، فهذا من الدّعوة إلى الله.

أما إذا كان يأتي بدرس جاف يقرؤه عليهم أو يشرحه وكأنه مجرد نظرية، فهذا قد لا يكون من باب الدعوة إلى الله، وإذا كان المدرس من الطراز الأول فهو داعية إلى الله، وإن كان يأخذ رزقاً من بيت المال فإن ذلك لا يضره، وكثير من الناس يدعو إلى الله سبحانه وتعالى بحاله قبل أن يدعو بمقاله، أي أن كثيراً من

طلبة العلم تجد عليه سيما العلم، وسيما العبادة، فيقتدي به الناس أكثر مما يقتدون بقول غيره.

من رأى منكم منكراً

٧ **يقول الرسول ﷺ : «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»**[١].

ما حدود هذه الاستطاعة بينما نجد الكثير قد أخذوا بآخر الحديث أي «بقلبه»؟

* هذه الاستطاعة معناها القدرة، فإذا كان الإنسان يقدر على أن يغير هذا المنكر بيده وجب عليه أن يغيره بيده، مثل: أن ترى مع شخص آلة لهو وأنت قادر على أن تأخذها وتكسرها فيجب عليك أن تفعل.

أما إذا كان هذا من شأن ولاة الأمور؛ فإنّه يجب عليك أن تنتقل إلى المرحلة الثانية. وهي أن تغير بلسانك: إما بدعوة هذا الرجل إلى أن يكسر هو بنفسه هذه الآلة المحرمة، أو أن توصل الأمر إلى ولي الأمر الذي يستطيع أن يكسر هذه الآلة.

فإن لم تتمكن حتى من هذا، فإنّ أدنى شيء للتغيير أن تغير بقلبك، بأن تكره هذا الشيء وتبغضه، ولا تجلس عند من كان متلبساً به.

وهاهنا مسألة يجهلها كثير من الناس، وهي أن بعض الناس يجلس عند فاعل المعصية، ويقول: إثمه عليه، وهذا غير صحيح؛ بل الواجب أن تستعمل هذه المراتب الثلاث: باليد أو باللسان أو بالقلب.

ومعلوم أن من كره الشيء بقلبه لا يمكن أن يجلس عند فاعله أبداً، فلتقم

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب: «بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان» رقم (٤٩).

ولتفارق المكان، واستمع إلى قول الله عز وجل: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾[1] .

فالجالس مع فاعل المنكر مشارك له في الإثم وإن لم يفعله إلا أن يكون مكرهاً على الجلوس معه، فإن المكره معفو عنه.

ما هو موقف المسلم من المعاصي المنتشرة في بلاد المسلمين؟

٨ ما موقف المسلم من كثير من المعاصي المنتشرة في بلاد المسلمين مثل الربا وتبرج النساء وترك الصلاة...الخ ؟

* موقف المسلم حدّده النبي ﷺ فقال: **«من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»**[2] . فمن هذا الحديث يكون تغيير المنكر على ثلاث مراتب:

المرتبة الأولى: التغيير باليد:

فإذا كان لك سلطة يمكنك بها أن تغير هذا المنكر بيدك فافعل، وهذا يمكن أن يكون للإنسان إذا كان المنكر في بيته، وكان هو القائم على البيت، فإنه في هذه الحالة يمكنه أن ينكر بيده.

فلو أن رجلاً دخل بيته ووجد فيه آلة لهو والبيت بيته، والولد ولده، والأهل أهله، أمكنه أن يغير المنكر بيده، كأن يكسّر الآلة مثلاً لأنه يستطيع.

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٤٠ .

(٢) سبق تخريجه صفحة: (٦٤).

المرتبة الثانية: التغيير باللسان:

فإذا كان لا يستطيع تغيير المنكر بيده فإنه ينتقل للمرتبة الثانية وهي تغيير المنكر باللسان. والتغيير باللسان على وجهين:

الوجه الأول: أن يقول لصاحب المنكر: ارفع هذا المنكر، ويتكلم معه ويزجره إذا اقتضت الحال ذلك.

الوجه الثاني: إذا كان لا يستطيع هذا فليبلّغ ولاة الأمر.

المرتبة الثالثة: التغيير بالقلب:

فإذا كان لا يستطيع تغيير المنكر بيده أو بلسانه فلينكره بقلبه، وذلك أضعف الإيمان. والإنكار بالقلب أن تكره بقلبك هذا المنكر وتكره وجوده، وتودّ أنه لم يكن.

وهنا نقطة يجب أن نتنبه إليها، أشار إليها النبي ﷺ في هذا الحديث حيث قال: «من رأى منكم».

والرؤية هنا هل هي بصرية أم علمية أم ظنية»؟.

أما الظّنّ فلا يرد هنا؛ لأنَّه لا يجوز ظنّ السوء بالمسلم!!

إذن تبقى الرؤية البصرية أو العلمية.

أما البصرية: فهي أن يشاهد الإنسان المنكر.

والعلمية: أن يسمع إذا كان لا يرى، أو أن يخبره به من يثق به.

وهنا يتبين لنا أن الرسول ﷺ أراد منّا ألا نتعجل في الحكم على شخص ما

في المنكر حتى نراه. «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه**».

يقول لي بعض الناس: أنا أجلس عند أهل المنكر وأكره هذا بالقلب وأنكره بقلبي، فهل أقع في الإثم أم لا؟ **يقول**: أُشهد الله أني أكره هذا المنكر وأبغضه بقلبي.

نقول: أنت لم تنكره بقلبك، لأنه لو أنكره قلبك لأنكرته جوارحك، لأن النبي ﷺ يقول: «**ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب**»[1].

لو أن قلبك كرهه هل يمكن أن تجلس عند الذين يفعلونه؟! ولهذا قال الله تعالى: ﴿**وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ**﴾[2].

ولهذا فإنّ بعض العامة مساكين يظنون أنه إذا جلس على المنكر وهو يكرهه بقلبه فهذا معنى قول النبي ﷺ: «**فإن لم يستطع فبقلبه**»، وليس الأمر كذلك.

فالأمر كما بينت لكم أن الذي أنكر بقلبه لا يمكن أن يبقى أبداً لا واقعاً ولا شرعاً، وكذب من يقول: أكره هذا المنكر وهو جالس مع أهله.

قال لي بعض الناس: إنك إذا قلت ذلك حرمت الجلوس مع من كانوا حالقين لحاهم؛ لأنّ حلق اللّحى منكر!!

---

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب: فضل من استبرأ لدينه، رقم (٥٢)، ومسلم، كتاب المساقاة، باب: أخذ الحلال وترك الشبهات، رقم (١٥٩٩).

(٢) سورة النساء، الآية: ١٤٠.

نقول : عندنا أمران :

الأول : فعل المنكر .

والثاني : أثر المنكر .

فإذا وجدت رجلاً يعمل المنكر فإنّك تنكر عليه حتى يدع هذا المنكر ، وإذا لم يفعل فإنك لا تجلس معه ؛ لأن من الإنكار بالقلب أن لا تجلس معه .

أما إذا وجدت أناساً قد فعلوا المنكر وحضرت أنت وهم قد فعلوا منكرهم ، وانتهوا وبقي أثر المنكر عليهم . فهل يجوز أن تجلس معهم ؟ نعم يجوز الجلوس معهم ؛ لأن هذا الذي تشاهده هو أثر المنكر .

إذن انتبهوا للفرق بين أثر المنكر وبين التلبس بالمنكر .

فلا تجلس مع الذين يحلقون لحاهم حال الحلق . أما بعد الحلق مثل أن نجدهم في السوق أو على عتبة الدكان وما أشبه ذلك فنجلس معهم ، لكن لا ندع فرصة إذا أمكن أن نناصحهم ؛ لأننا رأينا عليهم أثر المعصية ، فننصحهم لأن هذا أمر بالمعروف ، ونهي عن المنكر . ومثل ذلك أن تجلس مع شخص تشم منه رائحة الدخان ، فإنه لا حرج عليك لكن انصحه بعدم معاودة شربه ، أما لو كان يشرب فعلاً فلا تجلس معه ، فإن جلست كنت شريكاً له في الإثم .

يجب عرض الإسلام أولاً

٩ **هناك حيرة عند كثير من الشباب في كيفية مواجهة المنكرات المنتشرة في كثير من الدول الإسلامية، أيواجهونها بالعنف كما يصنع بعض الشباب، أم يواجهونها بأسلوب آخر، فلا يجدون الاستجابة خاصة في بعض الدول الإسلامية التي لا تُحكِّم شرع الله بالطريقة المطلوبة، فما رأي فضيلتكم في توجيه هؤلاء الشباب؟**

* الذي أرىٰ أن يبدؤوا أولاً بعرض الإسلام علىٰ حقيقته بعقائده، وأعماله، وأخلاقه، وأن لا يهاجموا هؤلاء مهاجمة توجب نفورهم، وفيما أعتقد أن الإسلام إذا عُرض علىٰ الوجه الصحيح أن الفطرة تقبله، مهما كان الأمر، لأن الدين الإسلامي موافق للفطرة السليمة، أما مهاجمة الإنسان بما هو عليه من أزمنة قديمة وما عليه آباؤه وأجداده، فهذا يوجب النفور والكراهية لما يدعو إليه من الحق، ولهذا قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾[1]. فلذا أرىٰ لإخواني الدعاة في مجتمع كهذا أن يحرصوا علىٰ بيان الحق علىٰ ما هو عليه، وبيان الباطل علىٰ ما هو عليه دون أن يهاجموا هؤلاء مهاجمة مباشرة في أعمالهم.

لا تجوز الوقيعة في أهل الخير

١٠ **هناك اتهامات خطيرة للآمرين بالمعروف، والناهين عن المنكر، مثل اتهامهم بالتسرع والعجلة، مع أنهم يلاقون مصاعب ومتاعب ومخالفات من قبل الناس في الشرع الحنيف، فصاروا بهذا الاتهام فاكهة للمجالس، وخصوصاً من إخوانهم المسلمين، فما توجيه فضيلتكم لمن ولغ في أعراضهم أو تكلم فيهم؟**

* الوقيعة في أعراض أهل الخير أشد من الوقيعة في عامة الناس، ومن أهل

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٠٨.

الخير الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر، والوقيعة فيهم توهن جانب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويخشىٰ أن يبتلىٰ الواقع فيهم بكراهة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي كراهة ذلك خطر علىٰ دين العبد؛ لقوله تعالىٰ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾[1]. فالواجب حماية جانب الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ومساعدتهم والكف عن أعراضهم، لأنهم قائمون بمسؤولية عظيمة وفرض علىٰ الأمة جميعاً.

ولكني أقول: إنه لا يمكن أن نبرئ الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر من الخطأ، كما أننا لا نبرئ أنفسنا أيضاً، إن إخواننا الآمرين بالمعروف، والناهين عن المنكر، يعانون من المشقة والتعب مما نسأل الله تعالىٰ لهم أن يكون كفارة لسيئاتهم، ورفعة لدرجاتهم، ونسأل الله لهم العون.

وخيراتهم أكثر بكثير مما يقع من خطأ من بعض أعضاء الهيئة، لأنّ بعض أعضاء الهيئة قد تأخذه الغيرة والعاطفة حتىٰ لا يملك نفسه في التصرف كما فعل الصحابة رضي الله عنهم مع الأعرابي الذي جاء فبال في المسجد، فقد صرخوا به ونهروه حتىٰ سكتهم النبي ﷺ[2].

والإنسان قد يكون لديه غيرة شديدة قوية واندفاع قوي، فلا يضبط نفسه عند التصرف، لكن لا يجوز لنا أن نتخذ من مثل هذا الحال سُلَّمًا للقدح في جميع أعضاء الهيئة، أو في جميع أعمال هذا الشخص نفسه، بل الواجب أن نلتمس له العذر، وأن نتصل به ونبين له ما هو الطريق الراشد في معالجة الأمور.

---

(١) سورة محمد، الآية: ٩.

(٢) انظر تخريجه صفحة (٢٧، ٢٨).

طلب العلم أم الدعوة إلى الله؟

١١ أيهما أولى : طلب العلم الشرعي أم الدعوة إلى الله تعالى، علماً بأن هذا الذي يدعو عنده علم بالأشياء التي يدعو إليها ؟

* **نقول**: إنّه لابد من العلم، والناس كما هو معروف يختلفون، فكل واحد من الناس له اختصاص وله شيء يريد أن يجيد فيه، فتجد من طلبة العلم من يرجح جانب العقيدة ودراسة العقيدة، وما قيل فيها وكتب فيها، وآخر يرجّح الفقه وما قيل فيه وما كتب فيه، وثالث يرجح الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وهذا من نعمة الله عز وجل أن جعل الناس تتفرق رغباتهم، ولو كانوا على رغبة واحدة لاختل كثير من الأشياء، فالإنسان الذي يرى من نفسه أن عنده قوة في طلب العلم والتعمّق فيه نرى أنّ الأولى به أن يبقى في طلب العلم ولا يخرج في الدعوة حتى ينفع؛ لأنَّ البلاد الإسلامية مغزوة من كل جانب في العقيدة والأخلاق وغير ذلك، فإذا لم يكن عند الإنسان علم راسخ مبني على الأصول الشرعية وعلى الدلائل العقلية فإنَّه يضيع.

وبهذه المناسبة أودّ لطلبة العلم أن يكون لديهم شيء من العلم بالمعقول لماذا؟؛ لأنَّ الناس الآن أصبح اقتناعهم بالمحسوس ـ لضعف إيمانهم ـ أكثر من اقتناعهم بالنظريات يعني بالأدلة الشرعية، والقصد من هذا أن أدعو إخواني طلبة العلم أن يكون لديهم علم بالمعقولات وبالعلل، وإذا شاءوا أن يصححوا ما أقول فلينظروا إلى كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في مقارعة الفلاسفة وأهل الكلام والمنطق وغيره يجدوا أنّ الرجل يتكلم بالدليل الشرعي، وبالدليل العقلي.

فإذا كان ليس عند الإنسان قدرة على الرسوخ في العلم والتعمّق فيه، فحينئذ

يتفرّغ للدعوة إلى الله، لكن يجب ألا يدعو إلا بما يعلم أنه الحق، لا يتخرص ويأتي كما يفعل بعض الدعاة بأحاديث لا زمام لها، أحاديث ضعيفة أو موضوعة، لأجل أن يبكي الناس أو يوجّههم، هذا خطأ ليس بصحيح أن توجّه النَّاس بالأحاديث الضعيفة وبالأحاديث الموضوعة، ليس من الشرع في شيء، نعم رخّص بعض العلماء بذكر أحاديث الفضائل أو الزواجر الضعيفة بشروط ثلاثة:

١ـ ألا يكون الضعف شديداً.

٢ ـ وأن يكون لذلك أصل صحيح.

٣ ـ وألا يعتقد القائل أن ذلك صحّ عن النبي ﷺ.

فأقول: الناس يختلفون فمنهم من يكون له ميل إلى تحقيق العلوم، ومنهم من لا يستطيع ذلك، ولكل مجاله الذي يعمل فيه ويناسبه.

ما هي أحسن الطرق لتلقي العلم الشرعي؟

١٢ ما هي أحسن الطّرق لتلقّي العلم الشرعي الصحيح نظراً لظروف هذا العصر الذي نحن فيه؟

* لا شكّ أن أحسن الطّرق أن يبدأ الإنسان بكتاب الله تعالى، ثم بما تيسر من سنة الرسول ﷺ الصحيحة، ثم بما كتبه أهل العلم من الفقه وغيره، ولكن الذي أحبه من طلبة العلم أن يكون تركيزهم على الأصول لا على الحواشي، يعني ألا يكون هَمُّ الطالب أن يحفظ مسائل فقط، بل يكون همه أن يحفظ الأصول والقواعد والضوابط، حتى إذا أتته أي جزئية من المسائل يستطيع أن يطبقها على هذه الأصول والقواعد؛ لأنه كما قال العلماء: من حُرِمَ الأصول حُرِمَ الوصول، وكثير من طلبة العلم تجده قد حشا عقله من المسائل الجزئية الفرديَّة، لكن لو تَخْرُجُ به عنها قيد أنملة ما عرف شيئاً، لأنه لم يعرف الضوابط

والأصول ، فلابد لطالب العلم من أن يكون عارفاً بالضوابط والأصول والقواعد التي تبنىٰ عليها الجزئيات .

وقد ذكر لنا ونحن في زمن الطلب أن رجلاً كان طالب علم ، لكنه حافظ غير فاهم ، كان يحفظ كتاب الفروع في مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، وكتاب الفروع كتاب من أجمع ما يكون من كتب الحنابلة ، وفيه أيضاً إشارة إلىٰ المذاهب الأربعة وغيرها ، ألّفه محمد بن مفلح ـ رحمه الله ـ أحد تلاميذ شيخ الإسلام ابن تيمية البارزين الذين هم من أعلم الناس باختيارات شيخ الإسلام في الفقه ، حتىٰ كان ابن القيم يراجعه في المسائل الفقهية عن شيخ الإسلام ابن تيمية ، المهم هذا الرجل ألف كتاب الفروع ، وقد حفظه أحد الطلبة حفظاً تاماً ، ولكن لا يعرف منه شيئاً من المعنىٰ ، فكان طلبة العلم يحضرونه عندهم كأنه كتاب ، وإذا أشكل عليهم شيء قالوا : ماذا قال ابن مفلح في الفصل الفلاني ، أو في الباب الفلاني؟ ثم يسرده عليهم سرداً وهو لا يعرف المعنىٰ ، فكون الإنسان يعتني بحفظ المعاني وبالأصول ـ أصول الفقه والقواعد ـ هذا من أهم ما يكون لطالب العلم .

الدعوة إلى الله عز وجل واجبة

١٣ ما الواجب الحقّ على طالب العلم والعالم تجاه الدعوة إلى الله؟ وما حكم تارك الدعوة وهو يقدر عليها؟

* الدعوة إلىٰ الله عزّ وجل واجبة ، كما قال تعالىٰ : ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾(١) .

وقد جعل الله تبارك وتعالىٰ الدعوة علىٰ ثلاث مراحل :

الدعوة بالحكمة ، وبالموعظة ، وبالمجادلة .

(١) سورة النحل، الآية : ١٢٥ .

لأن من تدعوه إما أن يكون لا علم عنده ولا منازعة عنده ولا مخالفة، فهذا يُدعىٰ بالحكمة.

وما هي الحكمة؟ بيان الحق وحكمة الحق إن تيسر لك.

وأما الموعظة: فتكون مع من عنده شيء من الإعراض وتوقف عن قبول الحق، فإذا رأيت منه نوع إعراض وعدم قبول، فإنك تعظه بالترغيب تارة، وبالترهيب تارة أخرىٰ، وبهما جميعاً إن اقتضت الحال ذلك.

وأما المجادلة: فتكون مع من عنده إعراض ومنازعة في الحق، فإنك تجادله بالتي هي أحسن من القول أو بالتي هي أحسن بالإقناع.

والآية تشمل الأمرين:

* بالتي هي أحسن من القول بأن تختار الألفاظ المقنعة المختصرة الواضحة.

* بالتي هي أحسن أيضاً من الإقناع، بأن تأتي بالطرق الأوضح دليلاً حتىٰ يتبين له الحق.

وانظر إلىٰ مجادلة إبراهيم عليه السلام، مع الذي حاجّه في ربه ماذا قال؟ قال الله عن ذلك: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾(١).

كيف يحيي ويميت؟!

يؤتىٰ بالرجل مستحقاً للقتل فلا يقتله، وهذا بزعمه إحياؤه! ويؤتىٰ بالرجل لا يستحق القتل فيقتله، وهذا بزعمه إماتته!!

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٨.

يمكن أن يجادل هذا بأن يقال: إنك إذا أوتيت بالرجل المستحق للقتل فلم تقتله، أنك ما أحييته؛ لأن الحياة موجودة فيه من قبل، ولكنك أبقيت الحياة بعدم قتله. ويمكن أن نقول: إنه إذا قتل من لا يستحق القتل أنه لم يمته، وإنما فعل سبباً يكون به الموت.

ولهذا ذكر النبي ﷺ في خطبة الدجال أنه يؤتىٰ إليه بشاب، فيشهد الشاب أنه الدجال الذي أخبر عنه النبي عليه الصلاة والسلام، فيقتله الدجال، ويجعله قطعتين ويمشي بينهما تحقيقاً للتباين بين القطعتين، ثم يناديه الدجال فيقوم متهللاً يضحك يقول: إني أشهد أنك الدجال الذي أخبرنا عنك رسول الله ﷺ، ثم يأتي ليقتله فلا يقدر عليه، فهذا دليل علىٰ أن الأمر كله بيد مَنْ؟ بيد الله عز وجل.

فيمكن أن يحاج هذا الرجل بمثل ذلك، لكن إبراهيم عليه السلام، أراد أن يأتي بدليل آخر لا يحتاج إلىٰ محاجة ولا مجادلة. ماذا قال له؟ قال إبراهيم: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾. فنكص عن الجواب ولهذا قال: ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾.

فقوله تعالىٰ: ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ يراد به الأحسن في الأسلوب، والأحسن في الإقناع، والأحسن والأوضح دليلاً، حتىٰ لا يحصل لفّ ولا دوران، فنحن يجب علينا أن ندعو إلىٰ الله عز وجل ما دام الإنسان قادراً علىٰ ذلك.

أما حكم تارك الدّعوة وهو يقدر عليها: فإن الدّعوة إلىٰ الله فرض كفاية إذا قام بها من يكفي، سقط عن الباقين، فإن رأيت شخصاً منحرفاً وليس حولك من يدعوه، صار الآن فرض عين عليك؛ لأن العلماء يقولون في فرض الكفاية: إنه إذا لم يوجد سوىٰ هذا الرجل تعين عليه.

لا تعارض بين طلب العلم والدعوة إلى الله

١٤ **هل من توجيه لطلبة العلم حتى يكونوا دعاة إلى الله عز وجل؟**

* في الحقيقة الدعوة التي تكون دون طلب العلم لا خير فيها، بمعنى أنها تفوِّت خيراً كثيراً، والواجب على طالب العلم أن يطلب العلم مع الدعوة إلى الله.

* ما المانع لطالب العلم إذا رأى شخصاً معرضاً حتى في المسجد الذي يطلب فيه العلم أن يدعوه إلى الله عز وجل؟

* ما المانع إذا خرج إلى السوق يقضي حوائجه أن يدعو إلى الله عزوجل كل من يراه معرضاً عن دين الله؟!

* ما المانع إذا كان في مدرسته ورأى من الطلبة من هو معرض أن يدعوه إلى الله عز وجل، وأن يمشي معه، وأن يأخذ بيده لحل مشكلته.

إن الإنسان إذا رأى مخالفاً بمعصية، بترك مأمور أو فعل محظور كرهه واشمأز منه، وابتعد عنه، ويئس من إصلاحه، فهذه مشكلة؛ والله سبحانه وتعالى بيَّن لنا أن نصبر، وأن نحتسب، قال الله تعالي لنبيه: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾[1].

فالإنسان يجب عليه أن يصبر وأن يحتسب، ولو رأى في نفسه شيئاً أو على نفسه شيئاً من الغضاضة فليجعل ذلك في ذات الله عز وجل.

إن النبي ﷺ لما دميت أصبعه في الجهاد قال:

(١) سورة الأحقاف، الآية: ٣٥.

«هل أنت إلا أصبع دميتِ وفي سبيل الله ما لقيتِ»[١]

لا تعارض بين قلة العلم والشهرة وبين الدعوة إلى الله

١٥ **بعض طلاب العلم يقصّرون في واجب الدعوة إلى الله وتربية الناس، بحجة قلة بضاعتهم العلمية، والبعض يحتج بالبعد عن الشهرة، وإلى غير ذلك من الأعذار، فما توجيهكم إلى هؤلاء؟**

* **أما الاعتذار الأول**: وهو قلة العلم، فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**بلغوا عني ولو آية**»[٢]. فليبلغ من العلم ما بلغه علمه، ويكون بذلك على خير وأجر.

وأما الثاني: وهو الشهرة، فإن الواجب على الإنسان أن يقوم بما أمره الله عز وجل به من عبادة وتعليم وغير ذلك، وليدع الشهرة جانباً، يُعرض عنها إطلاقاً، على أن الشهرة في العلم والمعرفة أمر مطلوب لا يضر الإنسان شيئاً، فها هو عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، لما ألقى النبي ﷺ على الصحابة مسألة قال: «**إن في الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وهي مَثَلُ المسلم حدِّثوني ما هي؟**» فوقع الناس في شجر البادية، ووقع في نفسي أنها النخلة، قال عبد الله: فاستحييت. فقالوا: يا رسول الله أخبرنا بها؟ فقال رسول الله ﷺ: «**هي النخلة**».

قال عبد الله: فحدثت أبي بما وقع في نفسي، فقال: لأن تكون قلتها أحبّ

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من ينكب أو يطعن في سبيل الله، رقم (٢٨٠٢)، ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين، رقم (١٧٩٦).

(٢) سبق تخريجه صفحة: (١٦).

إلي من أن يكون لي كذا وكذا[١] .

انظر إلىٰ عمر بن الخطاب رضي الله عنه كيف تمنىٰ لو أن ابنه تكلم ، مع أنه لو تكلم في هذه الحال لكان له الشهرة .

المهم أن الإنسان إذا اشتهر بعلمه أو بدعوته إلىٰ الله لا يضره ولا ينقص من أجره شيئاً . نعم لو عمل للشهرة فهذا الذي فيه ما فيه .

ما الفرق بين النفاق والرياء ؟

١٦ ما الفرق بين النفاق والرياء ؟ وأيهما أضر على المسلم الداعية ؟

* كلاهما سيِّئ النّفاق والرياء ؛ ولكن النفاق أشد وأخبث ، لأن النفاق : أن يُظهر الإنسان الخير وهو يبطن الشر ؛ سواء كان ذلك عقدياً أو عملياً ، لكن النفاق العقديّ مخرج عن الملة ـ والعياذ بالله ـ والنّفاق العملي قد يخرج من الملة وقد لا يخرج .

أما الرياء : فإن الإنسان يعمل عملاً صالحاً لله عز وجل ، لكنه يرائي به ، يُحسّنه أو يكون به أقوىٰ من أجل أن يمدحه النّاس علىٰ ذلك . هو يريد الخير ولكنه لاحظ ثناء الناس عليه فأحسن العمل من أجل ذلك . وبهذا تبين أن النفاق أسوأ .

علىٰ أن الرياء سمة من سمات المنافقين قال الله تعالىٰ فيهم : ﴿يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[٢] .

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب الحياء في العلم، رقم (١٣١) . ومسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب مثل المؤمن مثل النخلة، رقم (٢٨١١) .
(٢) سورة النساء، الآية : ١٤٢ .

يهتمون بحفظ القرآن وأحاديث الأحكام

١٧ **كثير من طلبة العلم يهتم بحفظ القرآن الكريم وأحاديث الأحكام، ولكنهم يهملون علم أصول الفقه، ويكتفون بما يحفظون من القرآن والحديث، مع العلم أن أصول الفقه هو العلم الذي يعلمك كيفية فهم هذه النصوص ، نرجو توجيه فضيلتكم بخصوص هذا الأمر ؟**

* الذي أرىٰ في طلب العلم أن يبدأ الإنسان ، ولا سيما الشاب الصغير بحفظ القرآن العظيم قبل كل شيء؛ لأنّ هذا فعل الصحابة رضي الله عنهم، فكانوا يتعلمون القرآن ويتعلمون معناه ويطبقونه . وطالب العلم محتاج إلىٰ القرآن، أرأيت لو أنك تتكلم في مجمع وتريد أن تستدل بالقرآن وأنت لم تحفظه، فإنك لا تتمكن من الاستدلال بالقرآن .

فأنا أحث الطلبة ؛ ولا سيما الشباب علىٰ حفظ كلام الله عز وجل، ثم علىٰ حفظ ما تيسر من الأحاديث مثل عمدة الأحكام، أو بلوغ المرام إذا قدر الإنسان، ثم بعد ذلك يأتي دور الفقه وأصول الفقه، ولا شك أن أصول الفقه من أحسن العلوم، وفيه أيضاً متعة لمن عَلِمَ، لأنه قواعد وضوابط إذا فهمها الإنسان صار يمرِّن ذهنه علىٰ استنباط الأحكام من أدلتها بواسطة هذه القواعد والأصول .

وجوب التواضع من أجل إيصال الحق

١٨ **ما حكم الدّعاة الذين يدعون الناس وكأنهم يستجدون هداية الناس استجداءً؟ وما قولكم في قوله تعالى: ﴿ يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ﴾[1] .**

*نعم ، حقيقة الأمر أن الدعاة الذين وصفهم السائل بأنهم يدعون الناس وكأنما يستجدون منهم المال، قد يكون هذا لضعفٍ في دعوتهم وشخصيتهم،

(١) سورة مريم، الآية: ١٢ .

وقد يكون هذا لعنادٍ في المدعو، يعني رجل ليس عليه تقصير في الشخصية والدعوة والقوة، لكن حال المدعو تتطلب أن يطمئن معه، وأن يأتيه بسهولة ولين، وحينئذ لا نستطيع أن نحكم على مثل هذا الداعية الذي يدعو الناس وكأنه يستجديهم بأنه مقصر أو أنه ذو قصور.

ولكن الذي ينبغي للإنسان أن يكون قوياً في دعوته، وينزل هذه القوة بحسب ما يليق بالحال، وإلا فإن كل واحد من الناس يجب أن يأخذ كتاب اللّه بقوة. كما قال عن بني إسرائيل: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ﴾(١). بل إن الله تعالى نتق الجبل فوقهم ليلزمهم بذلك: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ﴾(٢).

فلا بد أن يكون الإنسان قوياً، لكن الدعوة قد تستوجب أحياناً أن يكون الإنسان متواضعاً لهذا الرجل من أجل إيصال الحق إليه وقبوله له.

علينا إصلاح أنفسنا أولاً

١٩ ما تفسير الآية: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾(٣). وما قولكم فيها؟

* قولنا فيها ما قال الله عز وجلّ، إن الله أمرنا أن نصلح أنفسنا، وأن نحافظ على صلاحنا، وإذا ضلّ من ضل من الناس فإنه لا يضرنا، كما قال الله تعالى لنبيه: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ (٢١) لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ (٢٢) إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ (٢٣) فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾(٤).

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٦٣.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٧١.

(٣) سورة المائدة، الآية: ١٠٥.

(٤) سورة الغاشية، الآيات: ٢١ـ٢٤.

فالإنسان إذا اهتدىٰ لا يضره من عصىٰ، لكن إذا لم يغير الناس المنكر أوشك الله أن يعمهم بعقابه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[1] .

هؤلاء العصاة لا يضرونك أنت في الآخرة، فينقصون من حسناتك، أو يزيدون في سيئاتك، اللهم إلا إذا فرَّطت فيما يجب عليك من الدعوة إلىٰ الله والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فإن ذلك يضرك. لكن هذا الضرر ليس منهم، بل من نفسك؛ لأنك لم تقم بما أوجب الله عليك، وحينئذ يصدق عليك أنك لم تهتد، لأنّ الله اشترط فقال: ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ .

ومعلوم أن من ترك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والدعوة إلىٰ الله مع وجوبها عليه ، فإنه لم يهتد تمام الاهتداء.

الوسائل بحسب المقاصد

٢٠ هل تعتبر وسائل الدعوة إلى الله عز وجل وسائل توقيفية ؟ بمعنى أنه لا يجوز الاستفادة من الوسائل الحديثة في الدعوة، كوسائل الإعلام وغيرها، أم يُقتصر على الوسائل التي استخدمت في عهد الرسول ﷺ ؟

* يجب أن نعرف قاعدة وهي أن الوسائل بحسب المقاصد كما هو مقرر عند أهل العلم ، أن الوسيلة لها أحكام المقصد ما لم تكن هذه الوسيلة محرمة، فإن كانت محرَّمة فلا خير فيها.

وأما إذا كانت مباحة وكانت توصل إلىٰ ثمرة مقصودة شرعاً، فإنَّه لا بأس بها، ولكن لا يعني ذلك أن نعدل عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما فيهما من

(١) سورة الأنفال، الآية: ٢٥ .

مواعظ إلىٰ ما نرىٰ أنّه وسيلة في الدعوة إلىٰ الله، وقد نرىٰ أنَّ هذا وسيلة، ويرىٰ غيرنا أنه ليس بوسيلة، ولهذا ينبغي للإنسان في الدعوة إلىٰ الله أن يستعمل الوسيلة التي يتفق الناس عليها حتىٰ لا تخدش دعوته إلىٰ الله بما فيه الخلاف بين الناس.

ولكن يجب أن نعلم الفرق بين التأليف وبين الدعوة، فقد يكون من المصلحة أن نؤلف الشباب الذين ينضمون إلىٰ الدعوة بعد دعوتهم إلىٰ الكتاب والسنة بأشياء من الأمور المباحة التي لا تضرّنا في الدين ولا تضرّ الدعوة تأليفاً لهم، ولئلا ينفروا لو رأوا الأمر كله جدّاً.

الكتاب والسنة أولاً ثم أي وسيلة مباحة

٢١ وقع الخلاف بين الدعاة إلى الله عز وجلّ في وسائل الدعوة، فمنهم من يجعلها عبادة توقيفية، وينكر على من يقيمون الأنشطة المتنوعة، نرجو بيان الصواب في ذلك؟

* لا شك أنَّ الدعوة إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ عبادة، كما أمر الله بها في قوله: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[1]. والإنسان الداعي إلىٰ الله يشعر وهو يدعو إلىٰ الله عز وجل أنه ممتثل لأمر الله متقرب إليه به.

ولا شك أيضاً أنَّ أحسن ما يدعىٰ به كتاب الله، وسنة رسول الله ﷺ، فإن كتاب الله سبحانه هو أعظم واعظ للبشرية. ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[2].

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(٢) سورة يونس، الآية: ٥٧.

والنبي ﷺ كذلك قوله أبلغ الأقوال موعظة، فقد كان يعظ أصحابه أحياناً بموعظة يصفونها بأنها وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون .

فإذا تمكن الإنسان من أن تكون موعظته بهذه الوسيلة، فلا شكّ أن هذا خير وسيلة، وإذا رأىٰ أن يضيف إلىٰ ذلك وسائل ممّا أباحه الله فلا بأس بهذا، ولكن بشرط أن تكون هذه الوسيلة لا تشتمل علىٰ شيء محرَّم من الكذب أو تمثيل دور الكافر مثلاً في التمثيليات، أو تمثيل الصحابة رضي الله عنهم ، أو أحدٍ من الأئمة من بعد الصحابة ، أو ما أشبه ذلك مما يخشىٰ منه أن يزري بأحد من هؤلاء الأئمّة الفضلاء .

وكذلك أيضاً لا تشتمل التمثيلية علىٰ تشبه رجل بامرأة أو العكس ؛ لأنَّ هذا مما ثبت فيه اللعن عن رسول الله ﷺ فإنه لعن المتشبهات من النساء بالرجال ، والمتشبهين من الرجال بالنساء .

المهم أنه إذا فعل شيئاً من هذه الوسائل أحياناً من أجل التأليف، ولم تشتمل علىٰ شيء محرَّم فلا أرىٰ فيها بأساً، أما الإكثار منها وجعلها هي الوسيلة للدعوة إلىٰ الله، والإعراض عن الدعوة بكتاب الله، وسنة رسول ﷺ بحيث لا يتأثر المدعو إلا بهذه الوسائل فلا أرىٰ ذلك، بل أرىٰ أنه محرَّم ؛ لأنَّ توجيه الناس إلىٰ غير الكتاب والسنة فيما يتعلق بالدعوة إلىٰ الله أمر منكر، لكن فعل ذلك أحياناً لا أرىٰ فيه بأساً، إذا لم يشتمل علىٰ شيء محرم .

على الداعية أن يستخدم الأسلوب الأنفع

٢٢ **من الدعاة من ينتهج أسلوب التربية والتعليم، ومنهم من ينتهج أسلوب الوعظ والتذكير. فأي الأساليب أنجع ؟**

* الذي أرىٰ أن من نعمة الله علىٰ العباد أنه جعلهم يختلفون في الطريق أو

الوسيلة في الدعوة إلىٰ الله .

* فهذا رجل واعظ أعطاه الله قدرة علىٰ الكلام وتأثيراً. نقول له : الوعظ أحسن لك .

* وهذا رجل أعطاه الله سبحانه وتعالىٰ ليناً ورقةً ولطافة، ليربي الناس، بأن يدخل فيهم من هذه الناحية ، فنقول : هذا الأسلوب أفضل من الأول ؛ لا سيما إذا كان لا يحسن أن يتكلم؛ لأنّ بعض الناس داعية، ولكن لا يحسن أن يتكلم، وفَضْل الله موزَّع علىٰ عباده. رفع بعضهم فوق بعض درجات .

فالذي أرىٰ أن الإنسان يستعمل الأسلوب الأنفع والأجدىٰ، وألا يدخل نفسه في شيء يعجز عنه، بل يكون واثقاً من نفسه مستعيناً بالله عزوجلّ حتىٰ إذا وردت عليه إيرادات تخلّص منها .

ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن

٢٣ هنالك طرق متعددة يسلكها الدعاة في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، يا ترى ما هي الطريقة التي سرتم عليها في الدعوة إلى الله، والتي من خلالها يمكن أن تقدموا للشباب نصيحة في كيفية الدعوة، وخاصة في موضوع دعوة ولاة الأمر والعوام والشباب الملتزم والفسّاق وغيرهم من أصناف البشر ؟

* علىٰ كل حال أنا أقول عن نفسي : إني قاصر، وإني مقصرٌ في كثير من الأمور، والطريق التي أسلكها هو أني أجتهد في الدعوة التي أوجِّهها إلىٰ من أوجهها إليه من الكبار أو الصغار حسب الطريقة التي أرىٰ أنها أقرب إلىٰ حصول المقصود .

وأنا أنصحهم بما أرشد الله إليه عباده: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾(١) . وهذا يختلف مع كل واحد بحسبه، ولا يمكن أن نعطي فيه حكماً عاماً يشمل كل واحد وكل حال من الأحوال، فأحيانًا ربما يكون من الخير أن لا نتكلم مع الشخص في الدعوة إلىٰ الحقّ؛ لأنَّه في حال يبعد أن يقبل منك ما تقول، وربما يرد عليك ما تقول بشيء يؤثمه، وأحياناً ترىٰ منكراً إذا نهيت عنه أو دعوت إلىٰ تركه يتحول المدعو أو المنتهي إلىٰ منكر أعظم، فعلىٰ كلّ حال فالإنسان ينظر إلىٰ ما تقتضيه الحال من الدعوة والأسلوب فيها وكيف تخاطب الرّجل.

حكم الدعوة من خلال وسائل الإعلام الحديثة مثل التلفاز

٢٤ وسائل الإعلام تؤدي دوراً مؤثراً في عصرنا، فهل ترون أنه يجب استعمالها - مثل التلفاز - في نشر كثير من الوسائل التي قد لا تنتشر عن طريق غيره مثل ما تنتشر عن طريق التلفاز؟ وما رأيكم فيمن يقول: إنَّه لا يجوز المشاركة في وسائل الإعلام بوضعها الراهن؛ لأنها تنشر المنكرات، والمشاركة فيها إقرار لهذه المنكرات؟

* أرىٰ أنه يجب استخدام وسائل الإعلام في الدعوة إلىٰ الله عز وجل؛ لأن ذلك مما تقوم به الحجة، وأرىٰ أن وسائل الإعلام تستخدم في الدّعوة إلىٰ الله عز وجل علىٰ وجوه شتىٰ بمعنىٰ:

أن نجعل ركناً في الدعوة إلىٰ التوحيد.. وركناً في الدعوة إلىٰ العقيدة فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته.. وركناً في الدعوة إلىٰ إخلاص العبادة لله عز وجل، بحيث لا يقصد الإنسان التذلل إلىٰ حاكم أو إلىٰ من هو أكبر منه، وما

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٥ .

أشـبه ذلك. . وركناً في الفقـه مثل العبادات وغيرها. . وركنـاً في المعاملات مثل الأنكحة وغيرها، يعني ذلك أن تكون الدعوة واسعة عامة.

وأن لا تجعل هذه الأمور أو الموضوعات مكثفة بحيث يملّ منها القارئ أو المشاهد، بل يقتصر منها على ما لا يكون فيه ملل للناس، وإتعاب لهم، حتى ينتفع الناس بذلك أكثر على شرط أن لا يحل محلها ما فيه إضلال الخلق أو إفساد لأخلاقهم أو ما أشبه ذلك.

ولكن أرى أنه إذا كـان هجر هذه الوسائل وعدم المشاركة فيهـا سبباً في ترك المنكر فإنه يجب مقـاطعتها ومهـاجرتهـا حتى تترك هذا المنكر، ثم تنفتح لما هو خير.

أما إذا كـان هذا الأمر لا يفيـد وربما يزيد الطين بلّة، بحيث تفرغ الأوقات لنشر شر أكبر وأكثر، فأرى أنه يجب استغلال هذه الفرصة، ونشر الدعوة إلى الله تعالى من خلال هذه الوسائل.

ثم هذا المنكر الذي يعرض ـ كما يقول السائل ـ لا يعرض في نفس الوقت الذي أنت تلقي فيه الخير، بل هو منفصل عنه، فيكون من أراد الخير استمع إليه وشاهده، وإذا جاء الوقت الذي فيه المنكر يغلق المذياع أو التلفاز وينتهي منه.

أرى أن الشريط الإسلامي مهم جداً

٢٥ **الشريط الإسلامي أصبح وسيلة مهمة في الدعوة إلى الله تعالى، كيف يرى فضيلة الشيخ وضع هذا الشريط؟ وهل لكم نصائح يمكن أن تقدم لأصحاب التسجيلات؟**

* أرى أن الشريط الإسلامي مهم جداً في رعايته، والعناية به، وفيه فائدة كبيرة، لكنني أشير على إخواني الذين يعملون في هذا الحقل ألا يكون همهم في

الكمية، وإنما يكون همهم في الكيفية؛ لأنّ بعض هذه الأشرطة فيه ما هبّ ودبّ، فتجد من الواعظ موعظة تلين القلوب ولا بأس، لكنها تشتمل على أشياء ضعيفة وعلى أحاديث موضوعة على رسول الله ﷺ فيحصل من الشر فيها أكثر مما يحصل من تليين القلب لمدة دقائق مادام يستمع، لكن يرسخ هذا الشيء الباطل المكذوب الموضوع على رسول الله ﷺ في ذهنه، ثم يصعب بعد ذلك انتشاله منه.

فأرى أنَّه يجب على أصحاب الشريط الإسلامي أن يعتنوا به من هذه الناحية، وأن يعلموا أن أي خلل يصيب المسلمين بناءً على ما نشروه في عقيدتهم أو أخلاقهم، فإنهم مسؤولون عنه أمام الله عز وجل، فالعناية بهذا الأمر واجبة حتى لا ينزلق الناس؛ لأنَّ العامة إذا سمعوا الشريط المؤثر الذي يوجب البكاء ولين القلوب انكبوا عليه، وترسخ هذه المعلومات الباطلة في أذهانهم، وهذا شيء خطير جداً.

لا يجوز الهجر بين الدعاة

٢٦ هل يجوز الهجر بين الدعاة إلى الله بسبب اختلافهم في أساليب الدعوة؟

* أقول: لا يجوز الهجر بين المؤمنين، لأن النبي ﷺ قال: «**لا يحل لمؤمن أن يهجر أخاه فوق ثلاث**»[1]. حتى ولو ارتكب معصية، فإن هجره لا يجوز إلا إذا كان في هجره مصلحة، كأن ينتهي عن معصية. ولهذا هجر النبي ﷺ كعب بن مالك وصاحبيه رضي الله عنهم، حين تخلفوا عن غزوة تبوك.

فإذا كان في هجر الفسّاق مصلحة راجحة فإنهم يهجرون وإلا فلا يهجرون، هذا بالنسبة لعموم الفسّاق، أمَّا الدعاة إلى الله فإنه لا ينبغي لهم بل

---

(١) سبق تخريجه صفحة: (٣٦).

لا يجوز لهم أن يتهاجروا فيما بينهم، بسبب اختلاف أساليب الدعوة، ولكن على كل واحد منهم أن ينتفع بأسلوب الآخر إذا كان أجدى وأنفع.

لا يجوز سبُّ العالم إذا خالف أهل العلم في مسألة إذا كان الدليل معه

٢٧ هب أن رجلاً خالف كثيراً من أهل العلم في مسألة خلافية، هل يبغض هذا الشخص في الله؟ وهل تشن عليه الهجمات؟

* لا، أبداً. لو خالف الإنسان جمهور العلماء في مسألة قام الدليل على الصواب بقوله فيها، فإنه لا يجوز أن يشتم، ولا يجوز أن نعنف عليه، ولا يجوز أن تُحمى نفوس الناس دونه أبداً. بل يناقش هذا الرجل ويتصل به.

كم من مسألة غريبة على أفهام الناس، ويظنون أن الإجماع فيها محقق، فإذا بحث الموضوع وُجد أن لقول هذا الرجل من الأدلة ما يحمل النفوس العادلة على القول بما قال به واتباعه!!

صحيح أن الظاهر أن يكون الصواب مع الجمهور، هذا هو الغالب، لكن لا يعني ذلك أنّ الصواب قطعاً مع الجمهور. قد يكون الدليل المخالف للجمهور حقاً، وما دامت المسألة ليست إجماعاً، فإنه لا ينكر على هذا الرجل، ولا توغر الصدور عليه، ولا يُغتاب، بل يتصل به ويبحث معه، ويناقش مناقشة يراد بها الحق. والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾(١).

كل من أراد الحق وتأمل القرآن يسر الله له باب الحق، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، في العقيدة الواسطية: «**من تدبر القرآن طالباً للهدى منه تبين له**

(١) سورة القمر، الآية: ١٧.

طريق الحق»(١) .

فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول

٢٨ ما هي الضوابط التي ترونها للعمل والتعاون مع الدعاة لمنع الخلاف؟

* لا شك أن الضوابط لهذا الخلاف هي الرجوع إلى ما أرشد الله إليه، في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾(٢) وفي قوله: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾(٣) .

فالواجب على من خرج عن الصواب في العقيدة أو في العمل - أي في الأمور العلمية والعملية - أن يناقش حتى يتبين له الحق فيرجع إليه، أما خطؤه فيجب علينا أن نبيِّنه، وأن نحذِّر من الخطأ بقدر الاستطاعة، ومع ذلك لا نيأس، فإن الله قد ردّ أقواماً لهم بدع كبيرة حتى صاروا من أهل السنة، ولا يخفى على أحد منا ما اشتهر عن أبي الحسن الأشعري رحمه الله أنه بقي في طائفة الاعتزال مدة أربعين سنة من عمره، ثم اعتدل بعض الشيء لمدة، ثم هداه الله عز وجل إلى السبيل الأقوم إلى مذهب الإمام أحمد رحمه الله الذي هو مذهب أهل السنة والجماعة. فالحاصل أن مسائل العقيدة مهمة ويجب التناصح فيها، كما يجب التناصح في الأمور العملية.

---

(١) انظر: شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية - تأليف العلامة محمد خليل هراس، طبعة: ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م صفحة: ١٠٣ .

(٢) سورة النساء، الآية: ٥٩ .

(٣) سورة الشورى، الآية: ١٠ .

لا بأس بالمناظرة إذا كان القصد إظهار الحق

٢٩ **أسلوب المناظرات بين المختلفين هذه طريقة طبقها السلف، ولكنها تكاد أن تكون مفقودة الآن، فهل ترى أن تعود هذه الطريقة ؟ أو هل من مصلحة في عودتها ؟**

* أرىٰ أنَّ المناقشة بين المختلفين عمل طيب لكن بشرط أن تكون مصحوبة بحسن نية، بأن يكون المقصود بها أن تكون كلمة الله هي العليا، أما إذا قُصد بها نصر الرأي فتركها خير من فعلها، وهذه النية إلىٰ إرادة قصد الحق متوفرة في السلف أكثر منها في عصرنا الحاضر، ولهذا نجد بعض الناس إذا خالفك في أمر حاول أن يدعم رأيه بأمور ضعيفة ليس لها حساب في موازين المناظرة، وهذا هو الذي يجعل بعض الناس يتحرز عن المناظرة، ولا سيما أمام الناس، وأمام الجماهير، لأنه يخشىٰ أن يلبس هذا علىٰ الناس، وأن يلبس الحق بالباطل بسبب ما عنده من الجرأة والفصاحة والبيان، وحينئذ يكون الضرر عظيماً؛ ليس علىٰ المناظر فحسب، بل عليه وعلىٰ من ماثله من أهل الحق، وعلىٰ الحق نفسه أيضاً، فلهذا كان الناس يحبون أن يبتعدوا عن هذه المناظرات.

لكن أرىٰ أنه يمكن تلافي خطر المناظرة بأن يؤلف العالم كتاباً يذكر فيه ما يختاره من القول ويؤيده بالأدلة التي بنىٰ عليها اختياره، ثم يذكر حجج الخصم ويبين أنها لا تقاوم الحجج التي بنىٰ عليها اختياره، فهذه الطريقة لا شك أنها طريقة سليمة جيدة، ويحصل بها المقصود من المناظرة.

ولم يمر بي شيء بل لم يمر بي مؤلف يسلك هذه الطريقة مثل مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، فتجده يأتي في مناقشة القول بأدلة لا يأتي بها حتىٰ الذين يختارون القول المخالف لرأيه، ثم يرد عليها ويذكر حجج القول الثاني وهذا من كمال العدل، والإنسان يجب عليه أن يعرف أنه مسؤول أمام الله عز وجل، وأن يعلم أنه لا يمكن أن يختار قولاً لمجرد هواه إلا كان علىٰ حساب حسناته يوم القيامة.

إنكار الأسباب من الجهل
في الدين والسفه في العقل

٣٠ كيف الردّ على هؤلاء الذين يقولون: إن الله عز وجلّ قد تكفل بحفظ هذا الدين، وأن ما يعمله الدعاة في خدمة الإسلام عبثٌ لا داعي له ؟

* الردّ على هؤلاء سهل يسير، لأنَّ هؤلاء نزعتهم نزعة من ينكر الأسباب، ولا ريب أن إنكار الأسباب من الجهل في الدين والسفه في العقل، فإن الله تكفل بحفظ هذا الدين، ولكن بأسباب، وذلك بما يقوم به الدعاة إلى هذا الدين من نشره وبيانه للناس، والدعوة إليه، وما هذا القول إلا بمنزلة من يقول: لا تتزوج، فإنْ قُدِّر لك ولد فسيأتيك. أو لا تسع في الرزق، فإن قُدر لك الرزق فسيأتيك.

فنحن نعلم أن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1] . فإنما يقول ذلك مع علمه سبحانه بأنه لا تقوم الأشياء إلا بأسبابها، فيقدر الله لحفظ هذا الدين من الأسباب ما يكون به الحفظ.

ولهذا نجد علماء السلف حينما حفظ بهم الدين من البدع العقدية والعملية صاروا يتكلمون ويكتبون، ويبينون للناس، فلابد أن نقوم بما أوجب الله علينا من الدفاع عن الدين وحمايته ونشره بين العباد، وبذلك يتحقق الحفظ.

أفضل ما يعتني به الداعية كتاب اللّٰه عز وجل

٣١ ما هي الكتب التي يمكن للداعية أن يتزود منها بعد كتاب الله عز وجل؟

* إنَّ أفضل ما يعتني الإنسان به كتاب الله عز وجلّ قراءة وتعلماً وعملاً. فقد كان الصحابة رضي اللّٰه عنهم لا يتجاوزون عشر آيات من القرآن حتى

(١) سورة الحجر، الآية : ٩ .

يتعلموها، وما فيها من العلم والعمل، فتعلموا القرآن والعلم والعمل جميعاً.

ثم بعد ذلك ما صحَّ من سنة الرسول ﷺ وما كتبه أهل العلم عليها من الشروح كفتح الباري، ونيل الأوطار، وسبل السلام، وما أشبهها.

ثم بعد هذا ما كتبه أهل العلم الموثقون مثل شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، وغيرهم من أهل العلم الذين لا يحصون كثرة ممن عرفوا بغزارة العلم وقوة الخشية للّه تعالىٰ، فالإنسان يتدرج في التعلم، فيبدأ بالأهم فالأهم.

الذي أرى أن يجمع الإنسان بين الحسنيين

٣٢ كثير من طلبة العلم ينفرون من قراءة كتب الدعاة المعاصرين، ويرون الاقتصار على كتب السّلف ـ رحمهم الله ـ ما رأيكم في هذا ؟

* الذي أرىٰ أن أخذ الدّعوة من كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ فوق كل شيء، وهذا رأينا جميعاً بلا شك، ثم يلي ذلك ما ورد عن الخلفاء الراشدين، وعن الصحابة وعن أئمة الإسلام فيمن سلف.

أما ما يتكلم عليه المتأخرون من المعاصرين، فإنه قد حدثت أشياء هم بها أدرىٰ، فإذا اتخذ الإنسان من كتبهم ما ينتفع به في هذه الناحية فقد أصاب، ونحن نعلم أن المعاصرين إنما أخذوا العلم ممن سبقهم من دعاة السلف، فلنأخذ نحن مما أخذوا منه، لكن استجدَّت أمور لم تكن معلومة لدعاة السلف بأعيانها.

فالذي أرى أن يجمع الإنسان بين الحسنيين فيعتمد:

أولاً: علىٰ كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ.

وثانياً: علىٰ كلام السلف الصالح من الخلفاء الراشدين والصحابة وأئمة

السلف.

وثالثاً: على ما كتبه المعاصرون الذين جدت في زمنهم حوادث لم تكن معلومة بأعيانها فيما سلف.

التفرق بين الشباب الملتزم يؤدي إلى تفتيت القوة التي تحصل بالالتزام والاتجاه إلى الله عز وجل

٣٣ ما هي نصيحتكم لما يحصل بين الشباب الملتزم في مواجهة بعضهم البعض والتبرؤ من بعضهم البعض؟

* لا شك أن هذا الذي يحدث بين الشباب الملتزم من التفرق وتضليل بعضهم بعضاً، وحمل العداوة والبغضاء لمن لا يوافقهم على منهاجهم، لا شك أنه محزن ومؤسف، وربما يؤدي إلى انتكاسة عظيمة، ومثل هذا التفرق هو قرة عين شياطين الجنّ والإنس، لأنَّ شياطين الإنس والجنّ لا يودّون من أهل الخير أن يجتمعوا على شيء، فهم يريدون أن يتفرقوا، لأنهم يعلمون أن التفرق تفتُّتٌ للقوة التي تحصل بالالتزام والاتجاه إلى الله عزوجل، ويدل على هذا قول الله تعالى: ﴿وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾[3]. وقوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾[4]. فالله تعالى قد نهانا عن التفرق وبيَّن لنا عواقبه

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٤٦.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٥.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٥٩.

(٤) سورة الشورى، الآية: ١٣.

الوخيمة، والواجب علينا أن نكون أمة واحدة، وكلمتنا واحدة، فالتفرق فساد وشتات للأمر، وموجب لضعف الأمة الإسلامية.

والصّحابة رضي الله عنهم حصل بينهم الاختلاف، لكن لم يحصل التفرق ولا العداوة، ولا البغضاء، حصل بينهم الاختلاف حتىٰ في عهد النبي ﷺ. مثال ذلك: لما فرغ النبي ﷺ من غزوة الأحزاب، وجاءه جبريل يأمره أن يخرج إلىٰ بني قريظة لنقضهم العهد، قال النبي ﷺ لأصحابه: **«لا يصلين أحد منكم العصر إلا في بني قريظة»**[1]. فخرجوا من المدينة إلىٰ بني قريظة وحان وقت صلاة العصر.

فقال بعضهم: لا نصلي إلا في بني قريظة، ولو غابت الشمس، لأن النبي ﷺ قال: **«لا يصلين أحد منكم العصر إلا في بني قريظة»**. فنقول: سمعنا وأطعنا.

ومنهم من قال: إن الرسول عليه الصلاة والسلام أراد بذلك المبادرة والإسراع إلىٰ الخروج، ولم يرد منا تأخير الصلاة، فبلغ ذلك النبي ﷺ فلم يعنف أحداً منهم، ولم يوبِّخه علىٰ ما فهم، وهم بأنفسهم لم يتفرقوا من أجل اختلاف الرأي في فهم حديث الرسول ﷺ، وهكذا يجب علينا ألا نتفرق وأن نكون أمة واحدة.

وأما أن يحصل التفرق فيقال: هذا من السلفيين، وهذا من الإخوانيين، وهذا من التبليغيين، وهذا من السنيين، وهذا من المقلدين، وهذا من كذا وهذا من كذا ونتفرق، فهذا خطره عظيم!! والأمل الذي نؤمله من هذه الصحوة واليقظة الإسلامية سوف يتلاشىٰ، إذا علمنا أن هذه الصحوة سيكون منها طوائف متفرقة

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب صلاة الخوف، باب صلاة الطالب والمطلوب راكباً وإيماءً، رقم (٩٤٦)، ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب من لزمه أمر فدخل عليه أمر آخر، رقم (١٧٧٠).

يضلل بعضها بعضاً، ويسفه بعضها بعضاً.

والحلّ لهذه المشكلة، أن نسلك ما سلكه الصحابة رضي الله عنهم، وأن نعلم أن هذا الخلاف الصادر عن اجتهاد في أمر يسوغ فيه الاجتهاد، أن نعلم أن هذا الخلاف لا يؤثر بل إنه في الحقيقة وفاق فكيف ذلك؟!

أنا أخالفك في مسألة من المسائل، لأنَّ مقتضى الدليل عندي خلاف ما تقول. وأنت تخالفني في هذه المسألة؛ لأنَّ مقتضى الدليل عندك خلاف ما أقول أنا، فالواقع أننا لسنا مختلفين، لأن كلا منا أخذ بما رأى بناء على أن هذا مقتضى الدليل، إذن فمقتضى الدليل أمام أعيننا جميعاً، وكل منا لم يأخذ برأيه إلا لأنه مقتضى الدليل، فأنا أحمدك وأثني عليك؛ لأنك تجرأت على مخالفتي دفاعاً عن الدليل، وأنا أخوك وصاحبك؛ لأنَّ هذه المخالفة مقتضى الدليل عندك، فالواجب عليّ ألا يكون في نفسي شيء عليك، بل أن أحمدك على ما ذهبت إليه، وأنت كذلك.

ولو أننا ألزمنا أحدنا أن يأخذ بقول الآخر، لكان إلزامي إياه أن يأخذ بقولي ليس أولى بإلزامه إياي أن آخذ بقوله، ولذلك أقول: يجب أن نجعل هذا الخلاف المبني على اجتهاد أن نجعله ليس خلافاً بل نجعله وفاقاً، حتى تجتمع الكلمة ويحصل الخير.

ولكن إذا قال قائل: قد تكون هذه معالجة غير متيسرة بالنسبة لعامة الناس فما هو الحل؟

الحـــل: أن يجتمع رؤساء القوم وأعيانهم من كل طائفة للنظر والبحث في مسائل الاختلافات بيننا، حتى نكون متحدين ومؤتلفين. ولقد جرى في سنة من السنين مسألة في منى - على يدي ويد بعض الإخوان - قد تكون غريبة عليكم،

حيث جيء بطائفتين وكل طائفة من ثلاثة أو أربعة رجال، وكل واحدة تتهم الأخرىٰ بالكفر وتلعنها، وهم حجاج .

وخبر ذلك: أن إحدىٰ الطائفتين قالت: إن الأخرىٰ إذا قامت تصلي وضعت اليد اليمنىٰ علىٰ اليسرىٰ فوق الصدر، وهذا كفر بالسنة، حيث إن السنة عند هذه الطائفة إرسال اليدين علىٰ الفخذين، والطائفة الأخرىٰ تقول: إن إرسال اليدين علىٰ الفخذين دون أن تجعل اليمنىٰ علىٰ اليسرىٰ كفر مبيح للعنة، وكان النزاع بينهم شديداً، ولكن بفضل الله ثم بجهود الإخوان، وبيان ما يجب أن تكون عليه الأمة الإسلامية من ائتلاف ذهبوا وكل واحد منهم راض عن الآخر .

فانظر كيف لعب الشيطان بهم في هذه المسألة التي اختلفوا فيها حتىٰ بلغ أن كَفَّرَ بعضهم بعضاً بسببها، وهي سنة من السنن، وليست من أركان الإسلام، ولا من فرائضه، ولا من واجباته، غاية ما هنالك أن بعض العلماء يرىٰ أن وضع اليد اليمنىٰ علىٰ اليسرىٰ فوق الصدر هو السنة، وآخرون من أهل العلم يقولون: إن السنة هو الإرسال، مع أن الصواب الذي دلت عليه السنة هو وضع اليد اليمنىٰ علىٰ الذراع اليسرىٰ، كما قال سهل بن سعد رضي الله عنه، فيما رواه البخاري، قال: «**كان النَّاس يؤمرون أن يضع الرجل يده اليمنى على ذراعه اليسرى في الصلاة**»[1] .

فأرجو الله سبحانه وتعالىٰ أن يمنَّ علىٰ إخواننا الذين لهم مشارب ومناهج في وسائل الدعوة، أن يمن عليهم بالائتلاف والمحبة، وصلاح القلوب، وإذا حسنت النية سهُل العلاج، أما إذا لم تحسن النية وكان كل واحد منهم معجباً برأيه ولا يهمه غيره؛ فإنّ النّجاح سيكون بعيداً .

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأذان، باب وضع اليمنىٰ علىٰ اليسرىٰ في الصلاة، برقم (٧٤٠) .

تنبيه: إذا كان الخلاف في مسائل العقائد فيجب أن تصحح، وما كان على خلاف مذهب السلف فإنه يجب إنكاره والتحذير ممن يسلك ما يخالف مذهب السلف في هذا الباب.

لماذا التفرق والاختلاف بين الشباب؟

٣٤ **هل يرجع التفرق والاختلاف الذي يحصل بين الشباب إلى عدم الالتفاف حول العلماء وعدم الاتصال الدائم بين العالم والمتعلم. وأيضاً لقلة العلماء الذين ينذرون أنفسهم لطلبة العلم؟**

* لا شك أن هذا الذي ذُكِرَ في السؤال وهو عدم التفاف الشباب على أهل العلم الموثوق بعلمهم ودينهم؛ سبب للشطح والبعد عن منهج السلف، وأقول: الموثوق بعلمهم ودينهم، لأنه ليس كل عالم يكون موثوقاً به في علمه ودينه، بل العالم الموثوق به في علمه ودينه ينبغي أن يلتفّ الشباب حوله، ولست أقول: إنهم يقبلون كل ما يقوله، فإنه قد يخطئ ويصيب، ولكن إذا كان للإنسان عالم قدوة يقتدي به ويعرف اتجاهاته واستنباطاته، وكيف يأخذ الأحكام من أدلتها، كان هذا أحسن وأصلح للشباب.

وأما قوله: قلة العلماء، فصحيح أنّ العلماء بلا شك قليلون، ولكن - والحمد لله - الآن بدأت بوادر الكثرة هنا في الرياض، وفي القصيم، وفي الحجاز، نسمع أن هناك أناساً كثيرين كانوا يعلمون الشباب، ولكن أهم شيء عندي هو أنّ الشاب يجب عليه أن يصبر ويصابر على ما هو عليه، وألا يتعجل الأمور مع الالتفاف حول العلماء الموثوق بعلمهم وأماناتهم.

لا يجوز لطلبة العلم تجريح بعضهم البعض

٣٥ **هل يجوز من بعض طلبة العلم أن يكون ديدنهم تجريح بعضهم البعض، وتنفير الناس عنهم والتحذير منهم؟**

* لا شك أن تجريح العلماء بعضهم بعضاً عمل محرم، وإذا كان الإنسان لا يجوز له أن يغتاب أخاه المؤمن وإن لم يكن عالماً، فكيف يسوغ له أن يغتاب إخوانه العلماء من المؤمنين؟!

فالواجب على الإنسان المؤمن أن يكفَّ لسانه عن الغيبة في إخوانه المؤمنين، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾[١].

وليعلم الذي ابتلي بهذه البلوى أنه إذا جرح العالم فسيكون سبباً في ردِّ ما يقوله هذا العالم من الحقّ، وليعلم أن الذي يجرح العالم لا يجرحه شخصياً، بل هو تجريح لإرث محمد ﷺ، فإن العلماء ورثة الأنبياء، فإذا جُرح العلماء، وقُدح فيهم لم يثق الناس بالعلم الذي عندهم، وهو مُورَّث عن رسول الله ﷺ وحينئذ لا يثقون بشيء من الشريعة التي يأتي بها هذا العالم الذي جُرِّح.

ولست أقول: إن كل عالم معصوم، بل كل إنسان معرَّض للخطأ، وأنت إذا رأيت من عالم خطأ فيما تعتقده، فاتصل به وتفاهم معه، فإن تبين أنّ الحق معه وجب عليك اتباعه، وإن وجدت أن قوله خطأ وجب عليك ردّه وبيان خطئه، لأن الإقرار على الخطأ لا يجوز، ولكن لا تجرحه وهو رجل عالم معروف بحسن النية، وإن أمكن أن تقول: قال بعض الناس كذا وكذا، وهذا القول ضعيف، ثم

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٢ .

تبين وجه ضعفه وصواب القول الذي تراه كان هذا أطيب وأطيب .

ولو أردنا أن نجرح العلماء المعروفين بحسن النية لخطأ وقعوا فيه من مسائل الدين، لجرحنا علماءً كباراً. ولكن الواجب هو ما ذكرت، فإذا رأيت من عالم خطأ فناقشه، إما أن يتبين أن الصواب معك فيتبعك، أو لا يتبين الأمر ويكون الخلاف من الخلاف السائغ، وحينئذ يجب عليك الكف عنه، وليقل هو ما يقول، وأنت تقول ما تقول .

والخلاف ليس في هذا العصر فقط، بل الخلاف من عهد الصحابة إلىٰ يومنا هذا، وأما إذا تبين الخطأ ولكنه أصر انتصاراً لقوله وجب عليك أن تنفر من الخطأ، لكن لا علىٰ أساس القدح في هذا الرجل وإرادة الانتقام منه؛ لأنه قد يقول قولاً حقاً في غير ما جادلته فيه .

فالمهم أني أنصح إخواني بالابتعاد عن هذا البلاء وهذا المرض، وأسأل الله لي ولهم الشفاء من كل ما يعيبنا أو يضرنا في ديننا ودنيانا .

أسأل الله أن يعين العلماء على ما ينالهم من ألسنة السفهاء

[٣٦] تضخيم أخطاء العلماء ديدن كثير من الشباب، كيف يمكن أن توجه الشباب في هذا الجانب؟

* أقول: أسأل الله أن يعين العلماء علىٰ ما ينالهم من ألسنة السفهاء، لأن العلماء ينالهم أشياء كثيرة .

أولاً : أننا نسمع ما ينسب إلىٰ بعض أهل العلم المرموقين، ثم إذا تحققنا وجدنا أنَّ الأمر علىٰ خلاف ذلك، كثيراً ما يقال: قال فلان كذا. فإذا بحثنا

وجدنا الأمر على خلاف ذلك، وهذه جناية كبيرة، وإذا كان الرسول عليه الصلاة والسلام يقول: «إن كذباً عليَّ ليس ككذب على أحدٍ». أو ما هذا معناه.

فالكذب على العلماء فيما يتعلق بشرع الله ليس بكذب على واحد من الناس، لأنه يتضمن حكماً شرعياً ينسب إلى هذا العالم الموثوق به.

ولهذا كلما كانت ثقة الناس بالعالم أكثر صار الكذب عليه في هذه الأمور أكثر، وأخطر أيضاً؛ لأن كل واحد من العامة لو تقول له: قال فلان ما يستجيب لك، لكن لو تقول له: قال فلان ممن يثقون به لاستجابوا لك، فتجد بعض الناس له رأي أو فكر يرى أنه الحق، ويحاول أن يكون الناس عليه ولا يجد طريقاً في ذلك إلا أن يكذب على أحد العلماء الموثوق بهم، فيقول: هذا قول فلان، وهذه مسألة خطيرة جداً، وليست جرحاً للعالم شخصياً، بل هي تتعلق بحكم من أحكام الله عز وجل.

ثانياً: تضخيم الأخطاء كما قلت، هذا أيضاً خطأ، خطأ وعدوان، فالعالم بشر يخطئ ويصيب لا شك، ولكن إذا أخطأ العالم فالواجب علينا أن نتصل به وأن نقول له: هل قلت كذا؟ فإذا قال: نعم، وكنا نرى أنه خطأ قلنا له: هل لديك دليل؟ فإذا دخلنا معه في المناقشة تبين الحق، وكل عالم منصف يخشى الله عز وجل لابد أن يرجع إلى الحق، ولابد أن يعلن رجوعه أيضاً، وأما تضخيم الخطأ ثم يذكر في أبشع حالاته فهذا لا شك أنه عدوان على أخيك المسلم، وعدوان حتى على الشرع، إن استطعت أن أقول هذا، لأن الناس إذا كانوا يثقون بشخص ثم زعزعت ثقتهم به فإلى من يتجهون؟ أيبقى الناس مذبذبين ليس لهم قائد يقودهم بشريعة الله، أم يتجهون إلى جاهل يضلهم عن سبيل الله بغير قصد، أم يتجهون إلى عالم سوء يصدّهم عن سبيل الله بقصد.

على الداعية أن يدعو إلى الله عز وجل في المكان الذي تكون فيه المصلحة أكثر

٣٧ ما هو واجب الدعاة تجاه هذه المؤسسات الإعلامية على الرغم من تأثيرها الواضح على المجتمعات ؟

* الذي أرىٰ أنه إذا طلب من الإنسان أن يدعو إلىٰ الله عز وجل في مكان تكون فيه المصلحة أكثر ، والنفع أعم ، فإنه لا ينبغي له أن يحجم عنه ، بل الذي ينبغي عليه أن يتقدم ، وأن يرىٰ أن ذلك من نعمة الله عليه ، لأن هذه الوسائل إن لم تُملأ بالخير ملئت بضده ، فأرىٰ أنه من التعاون والتناصح أن يقدم الإنسان ويلبي الدعوة إذا طُلب منه المشاركة في هذه المؤسسات .

قد يكون ذلك من باب استعمال الحكمة

٣٨ ما رأيكم في داعية يرى المنكر ويسكت عليه بهدف إصلاحه فيما بعد ؟

* قد يكون من باب استعمال الحكمة في الدعوة إلىٰ الله تأخير إنكار المنكر ، فقد يكون هذا الرجل الفاعل للمنكر لا يناسب أن ننكر عليه في هذا الوقت بالذات ، لكن سأحتفظ لنفسي بحق الإنكار عليه ودعوته إلىٰ الحق في وقت يكون أنسب ، وهذا في الحقيقة طريق صحيح ، فإنّ هذا الدين كما نعلم جميعاً بدأ بالتدرج شيئاً فشيئاً ، فأقر الناس علىٰ ما كانوا يفعلونه من أمور كانت في النهاية حراماً من أجل المصلحة ، فهذا الخمر مثلاً بيَّن الله تعالىٰ لعباده أن فيه إثماً كبيراً ، ومنافع للناس ، وأن إثمه أكبر من نفعه ، وبقي الناس عليه حتىٰ نزلت آخر آيه فيه تحرمه بتاتاً .

فإذا رأىٰ الإنسان من المصلحة أن لا يدعو هذا الرجل في هذا الوقت أو في هذا المكان ، ويؤخر دعوته في وقت أو مكان آخر ؛ لأنه يرىٰ أن ذلك أصلح

وأنفع فهذا لا بأس به. أما إذا كان يخشىٰ ألا يتحقق بعد ذلك أو أن ينسىٰ فتضيع المصلحة، فلابد أن يبادر في بيان الحق والدعوة إلىٰ الله، هذا إذا كان الأمر موجهاً إلىٰ شخص معين.

أما إذا كان يريد أن يتكلم عموماً، بأن يكون في مجلس عام رأىٰ قوماً حضروا هذا المجلس علىٰ أمر يجب التنبيه عليه، فيجب أن ينبِّه ولا حرج، لأنه في هذه الحال لا يفوّت الفرصة، ولأنه لو أخَّر التنبيه لكان من غير الممكن أن يحيط بهؤلاء القوم الحضور فيما بعد.

قيام الليل يختلف باختلاف أحوال الناس

٣٩ لا يخفىٰ عليكم أهمية قيام الليل للداعية المسلم في حياته، نرجو من فضيلتكم أن ترغبوا في قيام الليل وإيضاح ما به من الفوائد؟

* الحقيقة أن الترغيب في قيام الليل محله كتب الترغيب والترهيب، وقيام الليل لو لم يكن فيه إلا قوله تعالىٰ: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (١٦) فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1].

لو لم يكن فيه إلا هذه الآية لكان كافياً في ترغيب المسلم في قيام الليل.

وقيام الليل يختلف باختلاف أحوال الناس، فمن الناس من يكون القيام في حقه أفضل، ومنهم من يكون عدم القيام في حقه أفضل.

فإذا كان الإنسان في أول الليل يشتغل بالعلم الشرعي حفظاً وتفهماً وتعليماً، ولكنه ينام في آخر الليل، فإن النبي ﷺ قد أقرَّ بعض أصحابه علىٰ

---

(١) سورة السجدة، الآيتان: ١٦، ١٧.

ذلك، كأبي هريرة رضي الله عنه، حين أوصاه النبي ﷺ أن يوتر قبل أن ينام[١].

أما إذا كان الإنسان على خلاف ذلك فإنه ينام مبكراً، ويقوم الليل، ثم إن كان الأخشع له أن يطيل القراءة بتأمل وتدبر، ويقف عند آية الرحمة فيسأل، وعند آية الوعيد فيتعوذ، فإنه يطيل القراءة. وإن كان الأخشع له أن يطيل الركوع والسجود ويقصر القراءة فليفعل. وإن لم بكن عنده ترجيح فالأولى أن يكون الركوع والسجود متقارباً متناسباً مع القيام لتكون صلاته متناسبة، فإذا أطال القراءة أطال الركوع والسجود، وإذا قصرها قصر الركوع والسجود، وليكن آخر صلاته بالليل وتراً.

حكم الاستماع للأناشيد الإسلامية

٤٠ **هل يجوز للداعية الاستماع إلى الأناشيد الإسلامية ؟**

* الأناشيد الإسلامية كنت سمعتها من قديم وليس فيها شيء ينفر، وسمعتها أخيراً فوجدت أنها ملحنة مطربة على سبيل الأغاني المصحوبة بالموسيقى، وهي على هذا الوجه لا أرى للإنسان أن يستمع إليها.

أما إذا جاءت عفوية بدون تطريب ولا تلحين، فإن الاستماع إليها لا بأس به، ولكن بشرط ألا يجعلها الإنسان ديدناً يستمع إليها دائماً.

وشرط آخر ألا يجعل قلبه لا ينتفع إلا بها، ولا يتعظ إلا بها، لأن كونه يجعلها ديدناً، فإنه يترك ما هو أهم، وكونه لا يتعظ ولا ينتفع إلا بها يعدل به عن أعظم موعظة وهي ما جاءت في كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، فإذا استمع إليها أحياناً أو أنه كان يقود سيارته في البر، وأراد أن يستعين بذلك على المشي والسير

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب التهجد، باب: «صلاة الضحى في الحضر»، رقم (١١٧٨)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: « استحباب صلاة الضحى . . . » برقم (٧٢١).

فهذا لا بأس به.

لا يجوز للداعية مشاهدة البرامج التي فيها موسيقى ونساء متبرجات

٤١ هل يجوز للداعية أن يُشاهد البرامج التي فيها موسيقى ونساء متبرجات؟

* الداعية يجب عليه إذا رأىٰ مثل ذلك أن ينكره، ولا يجلس إليه، ولا يشاهده، لأن الموسيقىٰ - وإن كانت مع الأسف كثرت في زماننا هذا - محرمة. ودليل تحريمها ما ثبت في صحيح البخاري من حديث أبي مالك الأشعري، أن النبي ﷺ قال: «**ليكونن أقوام من أمتي يستحلون الحِرَّ والحرير والخمر والمعازف**»[1]. وكلنا يعلم أن استحلال الحر وهو الفرج - أي الزنا - واستحلال الحرير للرجال، والخمر محرمٌ، وكذلك المعازف.

قال العلماء: والمعازف كلها التي يُعزف بها واستثنوا من ذلك الدف في أيام العرس أو لقدوم الغائب ونحو ذلك. وأما ما عدا ذلك من آلات اللهو فإنه حرام، وعلىٰ هذا فمشاهدة الأفلام التعليمية التي تشتمل علىٰ هذه الموسيقىٰ محرمة ولا تجوز.

وأما مشاهدة النساء فيها فإن أثارت الشهوة أو حصل بها تمتع بالنظر إليها، فلا شك أنها محرمة. وأما إذا لم يكن ذلك فهذا محل توقف عندي، ولكن كثيراً من الإخوة يقولون: إن النّظر إليها محرّم علىٰ كل حال.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأشربة، باب: «ما جاء فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه»، رقم (٥٥٩٠).

لا تعارض بين الحديثين

٤٢ **ما وجـه التعارض في هذين الحديثين ، قوله ﷺ لعائشة : «إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه»[(١)] . وقوله ﷺ في حديث آخر : «إذا رأى أحدكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه..»[(٢)] إلى آخر الحديث؟.**

* لا تعارض بين الحديثين؛ لأن قوله ﷺ : **«فليغيره بيده»** إذا لم يمكن أن يغيره بما دون ذلك، فإذا أمكن أن يُغير المنكر بيد الفاعل نفسه فهذا أفضل .

مثال ذلك : أن يرىٰ الداعية رجلاً معه آلة لهو يتلهىٰ بها، وقال له الداعي : إن هذا حرام، ويجب أن تكسره، فهنا إذا كسره المدعوُّ بنفسه كان هذا خيراً، لأنه قد يكسره عن اقتناع، وقد يكسره عن خوف. المهم أن مباشرته إياه بنفسه أفضل من أن تقدم أنت وتكسره ، فإذا لم يمكن فحينئذ كسّره إن استطعت، فإن لم تستطع فبلسانك، فإن لم تستطع فبقلبك.

ولهذا كان ينبغي بل يجب علىٰ طلبة العلم إذا تكلّم أحد بباطل أو كتب كلاماً باطلاً يجب أن يتصل بالقائل أو الكاتب قبل أن يردّ عليه، من أجل أن الكاتب أو القائل يتراجع بنفسه، ويجب عليه إذا عرف أنه علىٰ خطأ أن يبين للناس خطأ نفسه، قبل أن يذهب هذا فيرد عليه بمقال أو كتابة؛ لأنّ في ذلك من إضعاف جانب أهل العلم ما لا يخفىٰ، ولأنّ العامة إذا رأوا طلبة العلم يكتب بعضهم في بعض، ويردّ بعضهم علىٰ بعض ضعفت جبهة العلماء عندهم سواء كان من الراد أو من المردود عليه، مع أنه يُحدث بلبلة وتشويشاً علىٰ الناس، إذ

---

(١) سبق تخريجه صفحة : (٤٧).

(٢) سبق تخريجه صفحة : (٦٤).

إن الناس لا يدرون الحق مع هذا أو مع هذا، لكن لو ذهب الإنسان إلىٰ هذا القائل الذي يرىٰ أنه أخطأ في قوله وتفاهم معه، وقال له: إن هذا خطأ، وبيَّن له وجهة خطئه، وتناقش معه، لأنه قد يكون عند الكاتب الذي يُراد الردّ عليه ما ليس عند هذا الآخر. وتناقش في الموضوع، ففي ظني أن الرجل الذي يريد أن تقوم شريعة الله سوف يرجع إلىٰ الحق، أو علىٰ الأقل يقول والله هذا الذي عندي، وإذا كان عندك شيء فلا حرج عليك أن تبينه؛ بل يجب عليك أن تبينه إذا رأيت أن الحق في خلاف ما أقول.

ثم مع ذلك أيضاً أرىٰ أن الطريق السليم ألا يأتي بالخطأ من الآخر، ويوضع أمام الناس، ثم يرد عليه وينتقده، بل يبين الحق هو بنفسه مثل أن يقول:

فإن قال قائل: كذا وكذا فجوابه عليه كذا وكذا حتىٰ يعرف الناس الحقّ، وحتىٰ لا يكون هناك تباغض أو تعادٍ بين الناس، اللهم إلا إذا كان صاحب بدعة، فإن الواجب أن يبين خطأه، وأن يبين شخصه، حتىٰ لا يغتر الناس به. أما المسائل الاجتهادية التي يتسع الشرع لها فإن الأولىٰ فيها سلوك سبيل الحكمة وجمع القلوب ما أمكن.

عليك أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر

[٤٣] أنا رجل أصلي وأقرأ القرآن، وأعمل أعمال الخير، ولكن لا آمر بالمعروف ولا أنهى عن المنكر.. انصحوني؟

* إن نصيحتي لهذا الشخص الذي وصف نفسه بأنه يقرأ القرآن، ويصلي، ويفعل الخير، نصيحتي له أن يأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر، بقدر ما يستطيع، لأن النبي ﷺ أمر بذلك، بل إن الله أمر به، فقال: **﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤) وَلَا**

تكُونُوا كَالَّذِينَ تفرَّقُوا واخْتَلفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾[١] .

وأرجو أيها الإخوة أن تتأملوا قوله تعالىٰ : ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تفرَّقُوا﴾ بعد قوله : ﴿وَلْتَكُن مِنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ . لتعلموا أن ترك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، موجب للتفرق ولا بد. . . لأن هذا الذي قام بالمنكر سوف ينهج منهجاً غير الذي ترك المنكر، وكذلك الذي ترك المعروف سوف ينهج منهجاً غير الذي نهجه فاعل المعروف. وحينئذ يتفرق الناس.

فأقول للأخ : مُرْ بالمعروف، وانْهَ عن المنكر بقدر ما تستطيع، واعلم أن الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر من أهم الواجبات في دين الله عز وجل، حتىٰ إن الله لم يفضلنا علىٰ غيرنا إلا به، فقال : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[٢] . وقال عن بني إسرائيل : ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٧٩)﴾[٣] .

الواجب على الداعية أن يكون قدوة

٤٤ ما حكم الداعية الذي يدعو إلى شيء ولا يستطيع تطبيقه على نفسه؟

* الواجب علىٰ الداعية الذي يدعو إلىٰ الله أن يكون قدوة صالحة للذين يدعوهم، فإذا أمر بالمعروف فليكن أول فاعل له، وإذا نهىٰ عن منكر فليكن أول تارك له.

ولكن قد يدعو الإنسان إلىٰ شيء من الخير ويرىٰ أن يفعل ما هو خير منه،

---

(١) سورة آل عمران، الآيتان : ١٠٤، ١٠٥ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ١١٠ .

(٣) سورة المائدة ، الآيتان : ٧٨ ، ٧٩ .

ولكن إذا كان لا يشتغل عن هذا الخير الذي دعا إليه بشيء أفضل منه؛ فليحذر أن يكون كمن قال الله فيهم: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾(١). أو أن يكون كالرجل الذي: «**يلقى في النار حتى تندلق أقتاب بطنه -يعني أمعاؤه والعياذ بالله- فيدور عليها كما يدور الحمار في الرحى، فيجتمع عليه أهل النار، فيقولون: ما لكَ؟ ألست كنت تأمرنا بالمعروف، وتنهانا عن المنكر؟ فيقول: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه**»(٢) نسأل الله العافية.

فعلى الإنسان أن يسلك لنفسه الاحتياط في هذا الأمر، ولكن مع هذا لا نقول: إذا لم تفعل المعروف فلا تأمر به. نقول: إذا لم تفعل المعروف فقد حرمت نفسك الخير، ولكن لا تحرمها الخير الآخر، وهو الأمر بالمعروف.

ينبغي للمؤمن أن يكون مخلصاً لله عز وجل

[٤٥] رجل يعمل أعمالاً صالحة، ويحرص على إخفائها عن الناس خوفاً من الرياء، ولكنه يجد في نفسه الفرح والسرور إذا علم أحد عنها بدون قصد، فهل هذا يكون رياء؟ وهل ترك العمل الصالح أمام الناس رياء؟

* الذي ينبغي للمؤمن أن يكون مخلصاً لله تعالى في عمله، بل هذا هو الواجب، ولا ينبغي له أن يستسلم للخواطر التي ترد على قلبه في كونه مرائياً، لأنه إذا استسلم لذلك ترك كثيراً من الأعمال.

والمؤمن المخلص هو الذي يبدي العمل أحياناً ويسره أحياناً، حسبما تقتضيه المصلحة، ولهذا امتدح الله سبحانه وتعالى الذين ينفقون أموالهم سراً وعلانية فقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٤٤.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة النار وأنها مخلوقة، رقم (٣٢٦٧)، ومسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله، رقم (٢٩٨٩).

وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(١). فقد يكون الخير في السرِّ، وقد يكون الخير في الإعلان.

وأنت يا أخي المسلم انظر ما هو أفضل فافعله، وانته عن الرياء وابتعد عنه، ولا تعوِّد نفسك أبداً مراءاة الخلق أو محبة ظهورهم على عملك.

* أما ما يحصل لك من الفرح بعد فعل العبادة وأنت قد فعلتها لله، فإنّ هذا لا يضرك، بل هذه قد تكون من البشرى للمؤمن، التي قال الله تعالى فيها: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾(٢).

ففرق بين رجل إذا عمل العمل يعمله لأجل أن يراه الناس فيمدحوه، ورجل آخر يعمل العمل لله، ولكنه إذا اطلع عليه الناس فرح؛ لأنه يفرح بما أنعم الله به عليه، فإنَّ هذا الفرح لايضره شيئاً.

* أمّا أن يترك العمل أحياناً خوفاً من الرياء فهذا أيضاً من الوساوس التي يلقيها الشيطان في القلب، فعليك أن تفعل العبادة حتى لو وقع في نفسك أنك مراءٍ. فقل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، واستعن بالله، وافعل العبادة.

تجوز زيارة العصاة في بيوتهم إذا رأى في ذلك مصلحة

٤٦ هل يجوز للداعية أن يدعو الناس وهم على منكراتهم؟ وهل تجوز زيارة العصاة في بيوتهم لغرض دعوتهم إلى الله؟

* الدعوة تكون بالحكمة كما أمر الله عز وجل، فإذا رأى الإنسان أن دعوته في هذا المحل أو في هذا الوقت مناسبة ومثمرة فليتقدم بها، حتى وإن جاء العصاة

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٧٤.

(٢) سورة يونس، الآيات: ٦٢ ـ ٦٤.

في أماكنهم، وقد ذكر المؤرخون أن النبي ﷺ كان يأتي الناس في موسم الحج في منازلهم ويدعوهم إلى الله عز وجل .

وكذلك يدعوهم وإن كانوا على الأرصفة وفي لهوهم، إذا رأى في ذلك مصلحة، وإذا كان لا يرى مصلحة في دعوتهم جميعاً فبإمكانه أن يأخذهم واحداً واحداً، وليحرص على زعمائهم والكبراء منهم؛ لأنّ الزعماء والكبراء إذا صلحوا صلح الأتباع، فليحرص إذا لم يتمكن من الدعوة العامة على الكبراء والزعماء، ويتقدم إليهم إما في بيوتهم أو في مكان آخر أنسب ويدعوهم .

المهمّ أن الإنسان إذا التزم ما أرشد الله وأمر به من الحكمة صار على خير كثير . ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾(١) .

الواجب عليك أن تخرج من هذه الوظيفة

٤٧ زملائي في العمل حديثهم دائماً عن الجنس والمجلات الخليعة، وأنكر عليهم ذلك ولكن دون فائدة، فما العمل؟

* إذا كان هؤلاء الذين يتحدثون حديثاً محرماً لا يمكن إصلاحهم بنصح؛ فإن الواجب عليك أن تخرج من هذه الوظيفة إلى وظيفة أخرى، لأنّ الجلوس مع العصاة مع القدرة على مفارقتهم مشاركةٌ لهم في الإثم، كما قال الله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾(٢) . فالواجب عليك إذا لم يحصل تغيّر في أحوالهم، أن تطلب وظيفة أخرى حتى لا تشاركهم في الإثم،

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦٩ .

(٢) سورة النساء، الآية: ١٤٠ .

وإذا علم الله من نيتك أنك تحاول الهروب من هذا المحرم يسّر الله لك الأمر، لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾(١). وقوله: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾(٢).

هل أصحاب المعاصي كفار أم مؤمنون؟

٤٨ هل يجوز إلقاء السلام على أصحاب المعاصي؟ وهل يجوز هجرهم؟

* قبل أن أجيب على هذا أريد أن أسأل سؤالاً:

هل أصحاب المعاصي كفار أو مؤمنون؟

والجواب: أنَّ أصحاب المعاصي مؤمنون بإيمانهم، فاسقون بكبائرهم، وإذا كانوا كذلك لم يخرجوا من الإيمان. وحينئذ لا يحل هجرهم، فإنّ النبي ﷺ قال: **«لا يحل لمؤمن أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، يلتقيان فيعرض هذا، ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام»**(١).

فإذا مررت برجل على معصية وهي معصية لا تخرجه من الإيمان فسلّم عليه. وادعه إلى الله، وانصحه بالإقلاع عن هذه المعصية، وألنْ له القول لعله يتذكر أو يخشى.

انتبه يا أخي!! قد تقول: يجب أن أهجر صاحب المعاصي، وأقول: يجب أن تهجر معصية صاحب المعاصي، أمّا صاحب المعاصي فلا يجب هجره إلا إذا كان

---

(١) سورة الطلاق، الآية: ٤.

(٢) سورة الطلاق، الآية: ٢.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب: «الهجرة وقول النبي ﷺ: لا يحل لرجل...»، رقم (٦٠٧٧). ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب: «تحريم الهجر فوق ثلاث بلا عذر شرعي»، رقم (٢٥٦٠).

في هجره مصلحة، بحيث يدع معصيته، فحينئذ يكون هجره تأديباً ودواءً له.

وخلاصة الجواب: أنّه لا يجوز هجر المؤمن وإن كان فاسقاً إلا إذا كان في هجره فائدة، وهي إقلاعه عن المعصية.

قد يقول قائل: إن النبي ﷺ هجر كعب بن مالك وصاحبيه؟!(١).

والجـــواب: أن النبي ﷺ هجرهم؛ لأنَّ في هجرهم فائدة عظيمة، فهؤلاء صاروا إلىٰ ما وصفهم الله به في قوله: **﴿حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ﴾**(٢) فانتفعوا بهذا الهجر أيما انتفاع.

أما الرجل العاصي الذي لا ينتفع بهجره، بل لا يزيده الهجر إلا طغياناً وبُعداً من أهل الخير، فإن ذلك لا يجوز. هذه خلاصة الجواب علىٰ هذا السؤال.

الوعظ عند القبور أمر غير مشروع

٤٩ **ما رأيكم فيما ظهر هذه الأيام من الوعظ عند القبور عند دفن الميت؟**

* الذي أرىٰ في الوعظ عند القبور أنه أمر لا يشرع، ولا ينبغي أن يتخذ هذا سنة دائمة، فإن وُجد له سبب فقد يشرع، مثل أن يرىٰ أناساً في المقبرة عند الدفن يضحكون ويلعبون ويتمازحون، فهنا لا شك أن الموعظة حسنة وطيبة؛ لأنَّه وُجد لها سببٌ يقتضيها، أمّا مجرد أن يقوم الإنسان خطيباً عند الناس وهم يدفنون الميت، فهذا لا أصل له في هدي النبي ﷺ ولا ينبغي أن يُفعل.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب: «حديث كعب بن مالك»، رقم (٤٤١٨)، ومسلم، كتاب التوبة، باب: «حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه»، رقم (٢٧٦٩).

(٢) سورة التوبة، الآية: ١١٨.

صحيح أن النبي ﷺ انتهى إلى جنازة رجل من الأنصار ولما يلحد القبر، فجلس عليه الصلاة والسلام، وجلس حوله أصحابه كأن على رؤوسهم الطير من الهيبة والعظمة، وكان مع الرسول ﷺ قضيبٌ ينكت به الأرض، فجعل يحدثهم عليه الصلاة والسلام عن حال الرجل عند موته وبعد وفاته[١]، فهذا واضح أنه لم يكن خطيباً يخطب الناس ويعظهم، لكنه جالس وحوله أصحابه ينتظرون متى يلحد هذا القبر فحدثهم، كما لو كنت أنت وأصحابك تنتظرون دفن الميت، فجعلت تحدثهم بهذا الشيء، وفرق بين الحديث الخاص الذي يكون بين الجلساء، وبين ما يفعل على سبيل الخطبة، كذلك كان الرسول ﷺ إذا دفن الميت وقف عليه وقال: «**استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت، فإنه الآن يسأل**»[٢]. فهذه أيضاً مسألة خاصة وليست خطبة.

هذا تناقض وسفه في العقل وضلال في الدين

٥٠ هل هاتان الآيتان تدلان على أن مرتكب المنكر لا ينهي عنه، وهما قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ﴾[٣]. وقوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾[٤]؟

* هاتان الآيتان لا تدلان على أن مرتكب المنكر لا ينهي عنه، بل تدل على شناعة فعلهم، وكونهم ينهون عن المنكر ويفعلونه، أو يأمرون بالبر ولا يفعلونه،

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٢٨٧)، وأبو داود، كتاب السنة، باب: «في المسألة في القبر وعذاب القبر»، رقم (٤٧٥٣)، من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.
(٢) أخرجه أبو داود، كتاب الجنائز، باب: «الاستغفار عند القبر للميت»، رقم (٣٢٢١).
(٣) سورة الصف، الآية: ٢.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٤٤.

لأن هذا في الحقيقة تناقض وسفه في العقل وضلال في الدين.

كيف تنهىٰ عن الشيء وأنت تفعله؟!!

كيف تأمر بشيء وأنت لا تفعله؟!!

لو كان نهيك صادقاً لكنت أول من ينتهي عن هذا الفعل، ولو كان أمرك صادقاً لكنت أول من يفعل هذا الفعل. أما أن تأمر بالشيء ولا تأتيه، وتنهىٰ عن المنكر وتأتيه، فهذا خلاف العقل وخلاف الشرع، ولهذا وبّخ الله بني إسرائيل علىٰ هذا الأمر فقال تعالىٰ: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

يجب عليك أن تدعو إلى الله ولا تيأس

٥١ **ماذا أفعل إذا كنت في زيارة أقاربي وفي مجلسهم التلفاز، وقد رفع صوته فأنكرت عليهم ولم يستجيبوا فهل أنا آثم؟ وكيف أدعو غيري من الشباب المبتدئين؟**

* يجب علىٰ الشاب أن يدعو إلىٰ الله، وأن يستمر وألا ييأس. فكم من أناس هداهم الله عز وجلّ بعد ضلالهم؟! وكم من أناس أصلحهم الله بعد فسادهم؟! فليستمر في دعوته إلىٰ الحق ويصبر، وينتظر الفرج من الله سبحانه وتعالىٰ.

أما مشاركته في العمل المحرم فإنه لا يجوز، ولهذا لا يجوز أن يبقىٰ مشاهداً للتلفاز، وهو يشاهد فيه ما كان حراماً. أو أن يظل يستمع إلىٰ الراديو وهو يسمع ما كان حراماً؛ بل عليه أن يغادر المكان إذا لم ينفع النصح؟ لأن النبي ﷺ قال: **«من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه»**[١].

(١) سبق تخريجه صفحة (٦٤).

والإنسان الذي يبقى مع أهل المعاصي يكتب له مثل وزرهم، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾(١). ويقول تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾(٢).

فلا يجوز أن تبقى في مكان تسمع فيه المنكر، أو تشاهد فيه المنكر، ولكن تبقى مع أهلك في البيت وتناصحهم بقدر ما تستطيع.

أما الأمر الثاني:

فإني أدعو إخواني الشباب الذين منَّ الله عليهم بالهداية أن يحرصوا على أن يستقطبوا ما أمكنهم من الشباب الآخرين، لأنَّ تأثر الشباب بقرنائهم أكثر من تأثر الشباب بمن هو أكبر منهم.

فأنتم بارك الله فيكم أيها الشباب احرصوا غاية الحرص على أن تستقطبوا أكبر عدد ممكن ليهديه الله سبحانه وتعالى على أيديكم، ولا تحقروا أنفسكم، ولا تعجلوا، لا تقولوا إنا نريد أن يهتدي المنحرف بين عشية أو ضحاها، ربما لا يهتدي إلا بعد أسبوع أو شهر أو أكثر، ولكن المهمّ أن تصبروا وتصابروا لهداية إخوانكم.

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٦٨.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٤٠.

أخي الكبير يستهزئ بي لتمسكي بديني

٥٢ **لي أخ أكبر مني وكثير الاستهزاء بي ويقول عني: أنني منافق وأني إذا بقيت وحدي في الغرفة فإني أسمع الغناء، وبعد فترة سأبتعد عن هذا الدين، وأني سأصاب بالوسوسة، ولطالما نصحته ولكن لا يحب الناصحين، فماذا أفعل معه أفيدوني جزاكم الله خيراً؟**

* الواجب عليك ألا تيأس من صلاحه، فإن كثيراً من النَّاس كانوا علىٰ غير صواب في أعمالهم، ثم هداهم الله سبحانه وتعالىٰ، فأكثرْ من نصحه وأهد إليه بعض الأشرطة والكتيبات التي فيها الموعظة، ولعل الله أن يهديه علىٰ يدك. وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال لعلي بن أبي طالب: «**لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حُمرُ النِّعَم**»[1]. فكرّر النصيحة له واصبر علىٰ ما يصيبك منه من الأذىٰ كما قال لقمان لابنه: ﴿**يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ**﴾[2].

الداعي إلى الله لا يريد إلا إصلاح إخوانه

٥٣ **ماذا يجب عليّ إذا نصحت أهلي وإخواني ولكنهم لم يستجيبوا للنصيحة، ويقاطعون كلامي، وأنا أجد صعوبة في ذلك؟**

* هذا شيء واقع، وَمِثْلُ حَالِكَ كثير، والشكوىٰ منه كثيرة من الرجال ومن النساء، وذلك لأن بعض الناس إذا دُعي إلىٰ الله عز وجل يظنّ أن الداعي يريد السلطة عليه فقط، أو يريد الانتقام منه، أو يريد أن ينتصر لنفسه علىٰ من دعاه، وهذا من الشيطان بلا شك.

---

(١) سبق تخريجه صفحة: ٥ .

(٢) سورة لقمان، الآية: ١٧ .

فالداعي إلىٰ الله لا يريد إلا إصلاح إخوانه وهدايتهم إلىٰ الحق، ومع هذا فإني أقول لهذا السائل: اصبر واحتسب الأجر، واعلم أنّ كل أذىٰ ينالك من أجل دعوتك إلىٰ الله فإنك تؤجر عليه، والدّاعي إلىٰ الله عز وجل إذا قُبلت دعوته، فإنه يَحْصل بذلك القيام بالواجب والأجر الذي يترتب علىٰ هداية الخلق الذي قال فيه النبي عليه الصلاة والسلام لعلي بن أبي طالب: «**انفذ على رسلك، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمر النّعم**»[1]. وإن رُدَّ قوله وأوذي في الله، فإن ذلك أجر أيضاً يؤجر عليه مرتين: مرة علىٰ الدعوة إلىٰ الله، ومرة علىٰ الأذىٰ في ذات الله عزَّ وجل.

والرسل عليهم الصلاة والسلام أوذوا فصبروا، كما قال الله تعالىٰ لنبيه: ﴿**وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا**﴾[2].

وأنت أيها الأخ لا تجعل أذية الناس لك في الدعوة إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ سبباً يمنعك من الحق، أو يردك علىٰ عقبك، لأنّ هذا حال من لم يكن إيمانه راسخاً، كما قال الله تعالىٰ: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ**﴾[3].

فنصيحتي للأخ ونصيحتي لأهله أن يستمر هو في الدعوة إلىٰ الله ولا ييأس. وأما أهله فيجب عليهم قبول الحق سواء كان ممن دونهم أو ممن هو مثلهم في السن أو أكبر منهم.

---

(١) سبق تخريجه صفحة: ٥.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٣٤.

(٣) سورة العنكبوت، الآية: ١٠.

على الأب أن يدعو أبناءه بالتي هي أحسن

٥٤ **بعض الآباء المستقيمين يعاني من عدم التزام أبنائه الالتزام الكامل بأحكام الإسلام، فتراهم مثلاً يحافظون على الصلاة وباقي أصول الإسلام، لكن لديهم بعض المعاصي، كمشاهدة الأفلام، وأكل الربا، وعدم حضور الصلاة جماعة -أحياناً- وحلق اللحية إلى غير ذلك من المنكرات، فما موقف الأب المسلم المستقيم تجاه هؤلاء الأبناء؟ وهل يقسو عليهم أم يلين معهم؟**

* الذي أرى أن يدعوهم بالتي هي أحسن شيئاً فشيئاً، إذا كانوا على عدة معاصي ينظر الأشد منها، فيبدأ بها ويكرر معهم المناقشة فيها حتى ييسر الله تعالى الأمر ويتركوه، فإذا لم يمكن أن يستجيبوا له فالمعاصي تختلف، بعضها لا يمكن أبداً أن تُقِرَّ ابنك معك وهو عليها، وبعضها دون ذلك، والإنسان إذا تعارض عنده مفسدتان ولابد من وقوعهما أو من وقوع إحداهما، فإن ارتكاب أخفهما هو العدل وهو الحقّ.

ولكن المشكلة التي ترد أيضاً عكس السؤال، وهو أن بعض الشباب يعاني من انحراف أبيه حيث يكون هذا الشّاب ملتزماً وأبوه على خلاف ذلك، فتجد أباه يعارضه في كثير من المسائل، ونصيحتي لهؤلاء الآباء أن يتقوا الله عز وجل في أنفسهم وفي أولادهم، وأن يعتبروا اتجاه أولادهم هذا الاتجاه واستقامتهم نعمة يشكرون الله عليها، لأن صلاح أولادهم نافع لهم في الحياة وبعد الممات، كما قال الرسول عليه الصلاة والسلام: «**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**»(١).

ثم أوجه الكلام أيضاً إلى الأبناء أو البنات بأن آباءهم أو أمهاتهم إذا أمروهم

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الوصية، باب: «ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته»، رقم (١٦٣١).

بالمعصية فلا طاعة لهم في ذلك، فلا تجب طاعتهم، ومخالفتهم ـ وإن غضبوا ـ ليست من باب العقوق، بل من باب البر والإحسان إليهم حتىٰ لا تزداد آثامهم وجرائمهم بارتكابكم ما أمروكم به من المعصية، فأنتم إذا امتنعتم من المعصية التي أمروكم بها فأنتم في الحقيقة قد بررتموهم، لأنكم منعتموهم من زيادة الآثام عليهم، فلا تطيعوهم في معصية أبداً.

أما في الطاعات التي تَرْكُهَا ليس بمعصية، فهذا ينبغي للإنسان أن ينظر ما هو أصلح، فإذا رأىٰ الأصلح في مخالفتهم فليخالفهم، ولكن يداريهم إذا كانت الطاعة مما يمكن جحدها وإخفاؤها عنهم فليجحدها وليخفها عنهم، وإذا كانت مما لا يمكن إخفاؤه فليظهرها، وليقنعهم بأنه لا ضرر عليهم إذا فعلها، وأنه لا ضرر عليه من فعلها، وما أشبه ذلك من الكلمات المقنعة.

كيف يجمع بين إنكار المنكر وصلة الرحم والدعوة إلى الله؟

٥٥ كيف نجمع بين إنكار المنكر وصلة الرحم والدعوة إلى الله تعالى برفق ولين في وقت واحد؟

* الإنسان الحكيم يستطيع أن يجمع بين إنكار المنكر وصلة الرحم والدعوة إلىٰ الله بالرفق، فينكر تارة ويسكت عن بعض الأشياء التي يمكن أن تحتمل في سبيل ما هو خير، ولنفرض مثلاً أنَّ رجلاً من الناس عنده والد يفعل بعض المنكرات يستطيع هذا الرجل أن يبدأ بوالده فيجامله بأن يقضي حوائجه ويساعده علىٰ أموره المباحة، ومع ذلك يذكر له بعض الشيء فيقول مثلاً: إن الإنسان إذا فعل كذا وكذا فإنه ينقص إيمانه وربما يعاقب في الدنيا قبل الآخرة، فربما ينتبه الوالد ويعرف أنه هو المقصود، ويحبّ ولده علىٰ هذا الرفق وعلىٰ هذا التعريض دون التصريح، فيهديه الله عز وجل.

عليك أن تحرص على نصيحة جارك الذي لا يشهد صلاة الجماعة

٥٦ كيف أنصح جاري الذي لا يشهد صلاة الجماعة في المسجد ؟

* هذا الجار الذي سأل عنه السائل من كونه لا يشهد صلاة الجماعة. الطريق إلى إصلاحه أن يحرص هذا الأخ على نصيحته ويذهب إليه يزوره، ويدعوه أيضاً إلى بيته، ويجعل بينه وبينه رابطة، وإذا تألفت القلوب وصلحت الأحوال؛ فإنه يسهل القبول من الإنسان، ويبيّن له أيضاً أن النبي ﷺ أخبر عن نفسه أنه هَمَّ أن يحرق المتخلفين عن الجماعة بالنار، ويحذر هذا الجار عن تخلفه عن الجماعة. ويبيِّن له أن من صلى في المسجد في الجماعة فإن صلاته أفضل من صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة، إلى غير ذلك من طرق الترغيب والترهيب لعلَّ الله أن يهديه.

فإن لم يستجب وكرر عليه فإنه يرفع الأمر إلى المسؤولين، وبهذا تبرأ ذمته.

الواجب على الداعي أن يدعو إلى الله ولو سخر منه الناس

٥٧ ما حكم من أدعوهم إلى الله عز وجل وهم يسخرون من ذلك؟ وهل يجوز أن أقاطعهم؛ لأنهم قالوا إن دعوتك لابد أن تكون للأقارب فقط؟

* إنَّ الواجب على الداعي أن يدعو ولو سخر منه الناس، فإنّ أول الرسل نوحاً عليه الصلاة والسلام، كان قومه يسخرون منه، ولكنه يقول: ﴿إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ﴾[1].

---

(١) سورة هود، الآية: ٣٨.

ولا يخفى على الجميع قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (٢٩) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (٣٠) وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ (٣١) وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ (٣٢) وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ (٣٣) فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (٣٤) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ﴾[١].

فيجب أن تدعوهم ولو سخروا منك، ولكن في رأيي أنك لو دعوت مثل هؤلاء واحداً فواحداً لكان أحسن، يعني تمسك واحداً منهم منفرداً به وتدعوه إلى الله، وهكذا حتى تفتت جمعهم، ولعل هذا يكون من الحكمة.

ما ثبت في حق الرجال فهو ثابت في حق النساء

٥٨ هل الدعوة واجبة على المرأة؟ وفي أي مجال تدعو؟

* يجب أن نعلم قاعدة، وهي: أن ما ثبت في حق الرجال فهو ثابت في حق النساء، وما ثبت في حق النساء فهو ثابت في حق الرجال إلا بدليل يدل على خلاف ذلك.

مثال ما دلّ الدليل على اختصاص الرجال فيه: أن عائشة رضي الله عنها قالت: يا رسول الله، هل على النساء جهاد؟ قال: «**عليهن جهاد لا قتال فيه الحجّ والعمرة**»[٢]. وهذا يدل على أن الجهاد وهو جهاد الأعداء واجب على الرجال، وليس بواجب على النساء. وكذلك قال النبي عليه الصلاة والسلام: «**خير صفوف الرجال أولها، وشرها آخرها. وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها**»[٣].

---

(١) سورة المطففين، الآيات: ٢٩ـ ٣٥.

(٢) أخرجه أحمد (٦/ ١٦٥)، وابن ماجة، كتاب المناسك، باب: «الحج جهاد النساء»، رقم (٢٩٠١)، والدارقطني في السنن (٢/ ٢٨٤).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، باب: «تسوية الصفوف وإقامتها»، رقم (٤٤٠).

ومثال ما دلَّ الدليل على اختصاص النساء فيه حل الذهب والحرير فإنه خاص بالنساء.

فالأصل أن ما ثبت في حق الرجال فهو ثابت في حق النساء من مأمورات ومنهيات، وما ثبت في حق النساء فهو ثابت في حق الرجال، ولهذا من قذف رجلاً وجب أن يحد ثمانين جلدة مع أن الآية في الذين يرمون المحصنات الغافلات: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾[1].

ثم ننظر إلى الدعوة إلى الله عز وجل، هل هي خاصة بالرجال أم هي عامة مشتركة؟ والذي يتبين من كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ أنها مشتركة عامة، لكن مجال دعوة المرأة غير مجال دعوة الرجل، فالمرأة تدعو إلى الله تعالى في المجتمع النسائي وليس في مجتمع الرجال، فهي تدعو في الحقل الذي يمكنها أن تدعو به، وهو مجتمع النساء سواء كان في المدارس أو في المساجد.

يجب أن تنظري إلى المصلحة

٥٩ **زوجي يأمرني أن أكمل دراستي لكي أصبح داعية بين النساء، وأنا أريد أن أهتم ببيتي وأولادي وأترك دراستي، فهل من الحكمة أن أطيع زوجي أو أترك دراستي؟**

* الذي أرى أن تنظري إلى المصلحة، هل البيت مضطر إلى بقائك فيه؟ مثل أن يكون الأولاد الصغار كثيرين يحتاجون إلى عناية، فإن بقاءك في بيتك أفضل لك من الخروج إلى الدراسة، لأن النبي ﷺ يقول: «**ابدأ بنفسك ثم بمن حولك**»[2].

(١) سورة النور، الآية: ٤.

(٢) أورده السيوطي في «الدرر المنتشرة» بلفظ «ابدأ بنفسك ثم بمن يليك» وهو في صحيح مسلم من حديث جابر برقم (٩٩٧)، ولفظه: «ابدأ بنفسك فتصدق عليها فإن فضل شيء فلأهلك... الحديث».

فأنتِ مكلّفة ومطالبة برعاية الأولاد، وإصلاح البيت، وهذا أمر واجب.

والدعوة إلى الله عز وجل فرض كفاية قد يقوم لها من يكفي من النساء، وإذا أمكن الجمع بين هذا وهذا، بمعنى أن تكوني داعية إلى الله تعالى ولو في غير مدرسة فهذا طيب.

وبهذه المناسبة أود أن أحذر إخواني من استجلاب الخدم سواء كنَّ مسلمات أو غير مسلمات، لأنَّ في استجلاب الخدم مفاسد متعددة:

منها: أنَّ كثيراً منهن يأتين بدون محرم، وسفر المرأة بلا محرم لا يجوز، كما ثبت ذلك في الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: **«لا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم»**[1].

ومنها: أن هذه الخادمة تطلع على أسرار البيت وتعرفه، وربما تكون امرأة مستأجرة للتطلع على أحوال المسلمين للعلم ببواطن أمورهم.

ومنها: أنها تعوِّد النساء الركون إلى الكسل والدعة والخمول، وهذا ضرر على النساء حتى في أفكارهن، فإن المرأة تكون في بيتها جالسة ليس لها شغل فيتبلد ذهنُها، وتضعف ذاكرتها.

ومنها: أن بعض هؤلاء الخدم تكون شابة وجميلة فتحصل بها الفتنة، إمّا من الرجل نفسه، وإما من أولاده إن كان له أولاد، وهذا شيء يبلغنا عنه الكثير مما حصل من الفساد.

ومنها: أن كثيراً من هؤلاء الخدم يحضرن إلى الرجال بالبيوت وهن كاشفات الوجوه، قد خرجت أكفهن وأذرعتهن وأقدامهن وسيقانهن، وكل هذا

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب جزاء الصيد، باب: «حج النساء» رقم (١٨٦٢). ومسلم، كتاب الحج، باب: «سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره»، رقم (١٣٤١).

حرام لا يجوز.

فالذي ينبغي لنا هو الحذر التام من استجلاب الخدم، وإذا دعت الضرورة إلىٰ ذلك فلابد من شروط:

الشرط الأول: أن تكون المرأة مع محرمها.

الشرط الثاني: أن تؤمن الفتنة.

الشرط الثالث: أن تدعو الضرورة وتكون الضرورة صادقة في جلب هذه الخادمة.

كيف تدعو المرأة بنات جنسها؟

٦٠ كيف تدعو المرأة بنات جنسها إلى التّمسك بهذا الدين؟ وهل من الأفضل أن يجتمعن في بيوت بعضهن أم في المسجد؟

* الذي أرىٰ أنَّ النساء يمكنهن الدعوة إلىٰ الله كالرجال، ولكن نظراً لكون المرأة لا يتيسر لها الخروج كما يتيسر للرجل؛ فإنها لا تساويه من كل وجه، ولكن هذه المدارس، وهذه الكليات التي تضم عدداً من النساء يمكن أن تكون مجالاً للدعوة إلىٰ الله فيما بين النساء.

وأما الاجتماع في بيت من البيوت للعلم بالنسبة للنساء، فهذا محل توقف عندي؛ لأنني إذا قارنت بين مزاياه النافعة، وما يخشىٰ فيه من الضرر فإني أقول: الأولىٰ أن تبقىٰ المرأة في بيتها، وأن تدرس من العلم وتقرأ من الكتب ما تيسر، اللهم إلا إذا كان هؤلاء النسوة في بيوت متقاربة كالجيران المتلاصقين مثلاً، فهذا أمره سهل.

أما أن تركب السيارة أو تذهب إلىٰ مكان بعيد للاجتماع في بيت امرأة، فهذا أتوقف فيه وأستخير الله سبحانه وتعالىٰ في القول به.

أصـول أهـل السـنة والجماعة
في المسائل الخلافية

٦١ **ما هي أصـول أهل السنة والجـماعـة في المسـائـل الخلافيـة؟ وما ضـابط هذه المسائل؟**

* أصـول أهل السنة والجمـاعـة في المسائل الخلافية، أن مـا كان الخلاف فيه صـادراً عن اجـتـهـاد، وكـان مما يسوِّغـه الاجـتـهـاد، فـإن بعـضـهـم يعـذر بعـضـاً بالخـلاف، ولا يجعلون هذا من الاخـتـلاف الموجـب للتـفـرق والعـداوة ، ومن يخالفني بمقتضى الدليل فـالحقيـقة أنه لم يخالفني؛ لأن المنهج واحـد سواء أنا خالفته بمقتضى الدليل أو هو خالفني بمقتضى الدليل. إذن فنحن سواء، وما زال الخلاف في الأمة منذ عهد الرسول عليه الصلاة والسلام إلى اليوم.

أما الذي لا يسوغ فيه الخـلاف فـهو ما كـان مـخـالفـاً لما كـان عليه الصحابة والتابعون، كـمسائل العقائد التي ضلَّ فيها من ضل من الناس، ولم يحصل فيها الخلاف إلا بعـد القرون المفـضلة، أي لـم ينتشـر الخلاف ويتسع إلا بعـد القرون المفضلة، وإن كان بعض الخلاف فيها موجوداً في عهد الصحابة، ولكن ليعلم أننا إذا قلنا قـرن الصـحـابة، ليس المعنى أنه لابد أن يموت كل الـصحابة، بل القـرن ما وجد فيه أعظم أهله، لأنكم تعلمـون أن الله عز وجل بحكمته يـجعل الآجال متلاحقة. فـمثلاً لو قلنا: إن قـرن الصـحـابة لا ينقرض حتى لم يبق منهم أحد اجتحنا كثيراً من عصر التابعين، لكن يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «**إن القـرن يحكم بانقضائه إذا انقرض أكثر أهله**». فمثلاً إذا كان أكثر الصحابة قد انقرضوا ولم يبق إلا العشرات أو المئات القليلة، فـهذا يعني أن عـصرهـم انقـرض، وكـذلك التابعون، وكذلك تابعوهـم، إلى يومنا هذا.

فالقرون المفـضلة انقرضت، ولم يوجد فيـها هذا الخلاف الذي انتشر أخيراً

في العقائد.

وهؤلاء الذين يخالفوننا في العقائد مخالفون لما كان عليه الصحابة والتابعون، فهؤلاء ينكر عليهم ولا يقبل خلافهم.

أما المسائل التي وجد فيها الخلاف في عهد الصحابة، وكان فيها مساغ للاجتهاد فلابد أن يكون الخلاف فيها باقياً. قال النبي عليه الصلاة والسلام: «**إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر**»[1]. يعني أجراً واحداً، هذا هو الضابط.

فإذا قال قائل: هل الخلاف في صفات الله عز وجل سائغ؟

قلنا له: لا؛ لأن هذا الخلاف خارج عن منهج الصحابة، فالصحابة لم يختلف منهم اثنان في صفات الله، وكلهم يقرون بأن صفات الله حقّ على حقيقتها من غير تمثيل. والدليل على أنهم يقرون بذلك أنه لم يرد عنهم خلاف في تفسير الآيات والأحاديث الواردة في الصفات، فإذا كان لم يرد عنهم خلاف في تفسير الآيات الكريمة أو الأحاديث النبوية، فهذا يعني أنهم قائلون بذلك؛ لأن القرآن عربي، والسنة عربية، وهم يعرفون لسان العرب.

فإذا لم يرد عنهم شيء يُخالف ظاهر الآية أو الحديث، علمنا بأنهم يقولون بظاهر الآية والحديث، لذلك نحن ننكر على كل من قال بما يخالف مذهب السلف في باب الصفات، وإن شئت فقل باب الإيمان كله. الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، فكل من خالف ما كان عليه الصحابة في هذه الأمور الستة، فإننا ننكر عليه ولا نقره.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الاعتصام، باب: «أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب»، رقم (٧٣٥٢). ومسلم، كتاب الأقضية، باب: «بيان أجر الحاكم إذا اجتهد»، رقم (١٧١٦).

الخلاف في الرأي موجود حتى وإن حققت مسائل الخلاف

٦٢ لماذا لا تحقق مسائل الخلاف ليتبين الداعية وجه الصواب فيها، وذلك لجمع كلمة الأمة؟

* أرىٰ أنه إذا أردنا أن نجمع العلماء في بلد ما فسيكون هناك اختلاف في الرأي، حتىٰ وإن حققنا مسائل الخلاف، فإنّه سيقع الخلاف، ولكن الواجب عليهم أن يتقوا الله ما استطاعوا، وألا يكون الدافع لقبول هذا العالم المخالف للعالم الآخر هو الهوىٰ، بل الدافع هو قصد الهدىٰ.

وعلىٰ هذا يتبع الإنسان عند اختلاف العلماء من يرىٰ أنه أقرب إلىٰ الصواب، لعلمه ودينه وأمانته. وأمّا أن نجمع الناس علىٰ قول واحد فالظاهر أن هذا أمر متعذر ولا يمكن.

ثلاثة أسباب تجعل الفقيه يتوقف تجاه فتوى معينة

٦٣ ما معنى أن يكون الفقيه متوقفاً تجاه فتوى معينة؟

* معنىٰ كون الفقيه متوقفاً في مسألة من المسائل يعني كأن السائل يريد: ما منشأ هذا التوقف؟

منشأ هذا التوقف أحياناً يكون لتعارض الأدلة عند المفتي، بأن تكون الأدلة متجاذبة بعضها مثلاً يوجب أو بعضها يُحرم، أو بعضها يحلل والآخر بخلاف ذلك، فيتوقف المفتي عن الفتوىٰ، هذا جانب.

الجانب الآخر: أن يتوقف في الفتوىٰ لا لتشابه الأدلة عنده، ولكن لتطبيق

الدليل على الحال الحاضرة، هل يمكن تطبيقه على هذه الحال، أو لا يمكن مطلقاً، أو يمكن في وقت دون وقت ونحو ذلك.

وجانب ثالث: يعرف أن الآية أو الحديث تدل على الوجوب، وأنه ينطبق على هذه الحال، لكن قد لا يرى أن المصلحة في الفتوى بهذا فيتوقف درءًا لما يخشاه من المفسدة بهذه الفتوى، وهذا كثير وموجود في كلام السلف رحمهم الله وأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه له اليد الطولى في هذا؛ لأنّ زمن خلافته كان طويلاً، وكان رضي الله عنه حكيماً موفقاً للصواب.

ومن ذلك: أنه منع المطلق ثلاثاً من مراجعة زوجته وحَرّمها عليه مع أنها في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام، وعهد أبي بكر وسنتين من خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة. لكن عمر رضي الله عنه رأى أن المصلحة تقتضي منع الناس من المراجعة للمصلحة التي رآها في زمنه.

فهذه ثلاثة أسباب :

* إما تعارض الأدلة.

* أو الإشكال في انطباق الأدلة على هذه الحال المعينة.

* أو تعارض المصالح.

يجب أن نكرس الجهود لترسيخ هذه الصحوة وتثبيتها

٦٤ **الصحوة التي نراها الآن هل هي ردة فعل للفساد والبعد عن منهج الله كما يصورها البعض أم أنها مجذرة ومتأصلة وبالتالي ستعطي ثمارها إن شاء الله؟**

* الذي يظهر لي أن هذه الصحوة لها سببان:

السبب الأول: الرغبة في الرجوع إلى الإسلام، وهذا يكون غالباً من

المفكرين، فإن الإنسان العاقل إذا نظر إلىٰ ما كان عليه غالب الناس اليوم، ـ ولست أحصر هذا في الأمم الإسلامية أو العربية بل في عامة الأمم ـ من الانحلال والفوضىٰ والقلق والتعب النفسي، وأنه لا حلّ لذلك إلا بالتمسك بشريعة الله عز وجل التي أنزلها الله تعالىٰ نوراً للخلق يهتدون به في حياتهم العلميّة والعملية، كما قال الله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً﴾(١).

ويجد الإنسان هذا تماماً فيما إذا توثقت صلته بالله تعالىٰ عز وجل، فإنه يجد من انشراح الصدر والطمأنينة والنور ما لا يجده من كان معرضاً، كما قال الله تعالىٰ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾(٢). فرأىٰ هؤلاء العقلاء الأذكياء أن البقاء علىٰ ما كان عليه الناس أو عامة الناس من الانحلال الخلقي والفساد العقدي والتحلل الفكري، يقود البشرية إلىٰ الهلاك، فرأوا أنّه لابد أن يكون للإنسان مرجع ودليل يهتدي به، فرجعوا إلىٰ الإسلام، وهذا هو الذي يؤمل منه الخير؛ لأن هؤلاء رجعوا عن اقتناع ودراسة وبصيرة.

السبب الثاني: هو التقليد، فإنَّ الناس يقلد بعضهم بعضاً، فهذا الشاب إذا رأىٰ أخاه أو ابن عمه، أو جاره، أو صديقه اتجه اتجاهاً صحيحاً فعل مثله، وقد يرسخ هذا التقليد في قلبه ويطمئن إليه ويقتنع به فيبقىٰ ويثبت، وقد يغويه الشيطان فيضمحل هذا الاتجاه في نفسه وينحرف إلىٰ جهات أخرىٰ.

فهذا فيما أظن هو السبب في هذه الصحوة، ولكن مع هذا يجب أن نكرّس الجهود لترسيخ هذه الصحوة وتثبيتها، وأن نسعىٰ إلىٰ إرشادها العملي والعلمي

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٧٤.

(٢) سورة النحل، الآية: ٩٧.

أيضاً، لأن بعض الناس استفاد من هذه الصحوة علماً كثيراً لكنه من الناحية المنهجية والتربوية والعملية عنده قصور أو تقصير؛ لأنه أحياناً يندفع لما في قلبه من محبة الخير وثبات الناس على دين الله اندفاعاً شديداً، ولا يقدّر أحوال الناس وكيف يعالجهم، مع أن الطريقة الحكيمة هي ما جاءت به الشريعة.

فإذا رأينا أن الله سبحانه وتعالى لما أرسل محمداً ﷺ إلى الخلق لم يأت بالشريعة كاملة في أسبوع ولا في شهر ولا في سنة؛ بل بقي الرسول ﷺ في مكة ثلاث عشرة سنة لم يُفرض عليه من أركان الإسلام إلا الشهادتان والصلاة، وفي الزكاة خلاف، ثم لما فرض الصيام صار فرضهم على التخيير بين الصيام والإطعام، ثم تعيَّن الصيام وتأخر الحج فلم يفرض إلا بعد أن فُتحت مكة حتى لا ينال الناس حرج من الوصول إلى مكة .

وعلى كل حال من شاهد حكمة الله عز وجل في التدرج في التشريع علم أن الناس لا يمكن أن يؤخذوا بين عشية وضحاها، وينقلوا مما هم عليه من المخالفة إلى الموافقة، فإذا علم الإنسان هذا تمكن بما هداه الله تعالى من العلم أن يرشد الناس إلى الخير بالحكمة والموعظة الحسنة، والصبر والتأني، وألا يريد من الناس أن يستقيموا في يوم واحد، ومن أراد من الناس أن يستقيموا في يوم واحد فقد طعن في حكمة الله عز وجل وخالف شرعه، فالواجب أن الإنسان يقدر الأمور ولا يقيس الناس بنفسه حتى يمكنه أن يصلح ما فسد من عباد الله .

ليس في الكتاب أو السنة ما يبيح تعدد الجماعات والأحزاب

٦٥ **هل هناك نصوص في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ تدل على إباحة تعدد الجماعات الإسلامية ؟**

* ليس في الكتاب ولا في السنة ما يبيح تعدد الجماعات والأحزاب، بل إن في الكتاب والسنة ما يذمّ ذلك، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾(١). وقال تعالى: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾(٢).

ولا شك أن هذه الأحزاب تنافي ما أمر الله به، بل ما حثّ الله عليه في قوله: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾(٣). ولا سيما حينما ننظر إلى آثار هذا التفرق والتحزب حيث كان كل حزب وكل فريق يرمي الآخر بالتشنيع والسبِّ والتفسيق، وربما بما هو أعظم من ذلك، لذلك فإنني أرى أن هذا التحزب خطأ.

وقول بعضهم: أنه لا يمكن للدعوة أن تقوى وتنتشر إلا إذا كانت تحت حزب؟!!

نقول: إن هذا الكلام غير صحيح، بل إن الدعوة تقوى وتنتشر كلّما كان الإنسان أشد تمسكاً بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وأكثر اتباعاً لآثار النبي ﷺ وخلفائه الراشدين.

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٥٩.

(٢) سورة الروم، الآية: ٣٢.

(٣) سورة المؤمنون، الآية: ٥٢.

تعدد الجماعات ظاهرة مرضية

٦٦ **هل لتعدد الجماعات الإسلامية في الساحة أثر سلبي أم أنها ظاهرة صحية؟**

* تعدد الجماعات ظاهرة مَرَضِيّة وليست ظاهرة صحية، والذي أرىٰ أن تكون الأمة الإسلامية حزباً واحداً، ينتمي إلىٰ كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ولست أريد بذلك أن أجبر الناس أن يتحدوا علىٰ رأي واحد، لأن هذا شيء غير ممكن، والخلاف في الرأي موجود حتىٰ في عهد الصحابة رضي الله عنهم، وحتىٰ في حياة الرسول عليه الصلاة والسلام فالذين قال لهم الرسول عليه الصلاة والسلام: «**لا يصلين أحد منكم العصر إلا في بني قريظة**»(١) وخرجوا من المدينة وأدركتهم الصلاة انقسموا في فَهْم هذا النص، فمنهم من رأىٰ أن يؤخر الصلاة حتىٰ يصل إلىٰ بني قريظة وإن خرج الوقت، ومنهم من رأىٰ أن يصلي الصلاة في وقتها وإن لم يصل إلىٰ بني قريظة، وبلغ ذلك رسول الله ﷺ ولم يعنف أحداً منهم.

المهم أن الخلاف في الرأي موجود، لكن الخلاف في الاتجاه هو الذي يُخشىٰ منه، بمعنىٰ أن كل واحد منا يعتقد بأنه علىٰ منهج مخالف لمنهج أخيه بحيث يتكلم في أخيه ويسبه وربما يخرجه من الإسلام؛ لأنه لم يكن علىٰ طريقته، هذا هو الذي يخشىٰ منه كما هو الواقع من بعض الناس اليوم، تجده إذا خالفه أحد في رأيه ـ وقد يكون الرأي الصواب مع مخالفه ـ تجده يهاجمه ويسبه في كل فرصة يتمكن فيها من سبّه ومهاجمته، وهذا لا شك خلاف طريق المؤمنين، فالمؤمنون إخوة مؤتلفون وإن اختلفوا في الرأي، بل إني أقول: إن الاختلاف في الرأي إذا كان مبنياً علىٰ الدليل فليس اختلافاً في الحقيقة؛ لأن كلاًّ من المختلفين إنما يريد العمل بالدليل، فهم متفقون في الواقع لكنهم مختلفون في فَهْم هذا

(١) انظر تخريجه صفحة: (٩٤).

الدليل، وهذا الاختلاف في الفهم أمر موجود في بني آدم، ولا يضر ولا يؤدي إلىٰ اختلاف القلوب مع حسن النية.

ما موقف المسلم تجاه تعدد الجماعات واختلافها؟

٦٧ **نشاهد في هذا الوقت كثرة الحديث عن الجماعات الإسلامية التي تدعو إلى الله عز وجل، كالتبليغ والإخوان والسلفية، فأي هذه الجماعات نتبعها؟ وما موقف المسلم من اختلاف الجماعات؟**

* والله موقفي أنا من هذا أنه أمر مؤلم ومؤسف، ويخشىٰ أن هذه النهضة والصحوة الإسلامية تعود فتخمد، وتتحطم وتُشل؛ لأن الناس إذا تفرقوا كانوا كما قال الله عز وجل: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[1].

إذا تفرقوا وتنازعوا فشلوا وخسروا، وذهبت ريحهم، ولن يكون لهم وزن.

وأعداء الإسلام ـ ممن يتسمون بالإسلام ظاهراً، أو ممن هم أعداء له ظاهراً وباطناً ـ يفرحون بهذه التفرقة، وهم يوقدون نارها، ويأتون إلىٰ هذا ويقولون: هذا فيه كذا وهذا فيه كذا، يلقون العداوة والبغضاء بين هؤلاء الإخوة الدعاة إلىٰ الله عز وجلّ.

فالواجب علينا أن نقف ضدّ كيد هؤلاء المعادين لله ولرسوله ولدينه، وأن نكون أمة واحدة، وأن يجتمع بعضنا إلىٰ بعض، ويستفيد بعضنا من بعض، وأن نجعل أنفسنا كداعٍ واحد، وطريق ذلك أن يجتمع في كل بلد الزعماء الذين لهم كلمة في إخوانهم، ويتدارسوا الوضع، ويجتمعوا علىٰ خطة تكون جامعة للجميع، حتىٰ وإن اختلف منهاج الدعوة إلىٰ الله عزوجل فلا يهم. المهم أن نكون إخوة متآلفين علىٰ الحق متحابين.

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٤٦.

وأما قوله: أي هذه الطوائف أفضل؟ فأنا إذا قلت : إنّ الطائفة الفلانية أفضل فهذا إقرار لهذا التفرق، وأنا لا أقره، وأرىٰ أن الواجب أن ننظر في أمرنا نظرة صدق وإخلاص لله عز وجل، ولكتابه ولرسوله ﷺ، ولأئمة المسلمين وعامتهم، وأن نكون يداً واحدة، والحق والحمد لله بيِّن، ولايخفىٰ إلا علىٰ أحد رجلين: إما معرض، وإما مستكبر، أما من أقبل علىٰ الحق بإذعان وانقياد فإنه لا شك سيوفق له.

لا ينبغي أن تفرق الأمة

هذا إخواني وهذا تبليغي وهذا سلفي

[٦٨] هل الانتماء إلى حزب الإخوان أو التبليغ في بلادنا على صواب أم على خطأ؟

* الذي أرىٰ أنه علىٰ خطأ، وأنه لا ينبغي أن تفرق الأمة، هذا إخواني، وهذا تبليغي، وهذا سلفي، كلنا نريد أن نكون أمة واحدة تحت شعار واحد، وهو الإسلام الذي جاء به النبي ﷺ، ولابد أن يطبق الإنسان أحكامه علىٰ حسب ما تقتضيه سنة الرسول ﷺ وهي معلومة لمن أراد الهدىٰ، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾[1].

يجب أن تكون الأحزاب حزباً واحداً

ولا تفرق الأمة إلى أحزاب

[٦٩] ما موقفنا ممّن يدعو إلى الانتماء لحزب الإخوان أو التبليغ بمنطق الأخوة والمحبة في الله؟

* إذا كان أحدٌ يدعو إلىٰ هذين الحزبين بناء علىٰ المحبة في الله والأخوة في

---

(١) سورة القمر، الآية: ١٧.

الله، فإن هذه هي النية السليمة، أعني كونه يحبّ أن يكون المسلمون إخوة متحابين في الله عز وجل، ولكن كونه يدعو إلىٰ حزب دون حزب، وينتمي إلىٰ حزب دون آخر، ليس بصحيح، والذي أرىٰ أن يكون الحزبان حزباً واحداً حتىٰ لا نتفرق.

لا يجوز أن يكون في عنق الإنسان بيعتان

٧٠ هل يجوز أن يكون في عنق الشخص بيعتان بيعة للوالي وبيعة لزعيم الحزب؟

* لا يجوز للإنسان أن يكون في عنقه بيعتان، بيعة لولي الأمر العام في البلد، وبيعة لرئيس الحزب الذي ينتمي إليه، وقول النبي ﷺ في المسافرين: «**إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم**»(١) لا يعني ذلك أنهم يعطونه بيعة، ولكن ذلك يعني أنه لابد للجماعة من شخص تكون له الكلمة عليهم حتىٰ لا تختلف، وهذا مما يدل علىٰ أن الاختلاف ينبغي أن نسدّ بابه بكل طريقة.

كل حركة إسلامية لها أعداء يقومون ضدها

٧١ تتعرض الجماعات الإسلامية الموجودة خارج هذه البلاد لهجمة شرسة من بعض الكتاب والصحفيين، فما توجيهكم لمن تكلم في الجماعات الإسلامية بقصد الإنزال والإيقاع بها؟

* **أقول**: إنه لا يمكن أن نكمم أفواه الناس، فكل حركة إسلامية ويقظة لابد أن يقوم ضدها من لا يريد الحق، لأن الله قال في كتابه: ﴿**وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ**﴾(٢). وخذوا مثالاً قريباً: كان الرسول عليه الصلاة والسلام

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الجهاد، باب: «في القوم يسافرون يؤمرون أحدهم»، رقم (٢٦٠٨، ٢٦٠٩). قال الأرناؤوط: سنده حسن. انظر شرح السنة: (١١/٧).

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٣١.

قبل أن يوحىٰ إليه عند قريش محل الأمان، ومحل الصدق، فلما أوحىٰ الله إليه صار كذاباً ساحراً مجنوناً شاعراً، ورموه بكل عيب.

فلابد لكل حركة إسلامية، ويقظة إسلامية، أن يكون لها أعداء يقومون ضدها، فلا أستطيع أن أقول: إنّه يمكن القضاء علىٰ هذه الظاهرة، ولكني أقول: علىٰ أهل الخير أن يصبروا ويحتسبوا ويدافعوا عن أنفسهم ما استطاعوا، بل أحبّ أن يكون موقفهم موقف القوي.

هناك من يدعون إلى الله وظاهرهم الصلاح ولكن لهم طرق مخالفة لنهج النبي ﷺ

٧٢ يوجد في العالم الإسلامي جماعات تقوم بالدعوة إلى الله، وتنتهي بأتباعها إلى التصوف وأخذ البيعة لأميرها، وأخذ الأذكار المبتدعة. فما موقف طالب العلم من ذلك؟

* موقف طالب العلم من هذه الدعوة التي ظاهرها الصلاح والإصلاح، أن يرحب بهذه الدعوة ما دام ظاهرها الخير، ولكن يجب عليه أن يصحح ما فيها من خطأ، وأن يبيِّن ما فيها من زيف، ومن ذلك المبايعة لشخص من هؤلاء علىٰ أن يكون أميراً لهم دون وليّ الأمر العام. أما أن يؤمّروا واحداً منهم إذا خرجوا في رحلة أو خرجوا في سفر فإنّ هذا من الشريعة، فإن الرسول عليه الصلاة والسلام أمر من كانوا في سفر ـ وكانوا جماعة ـ أن يجعلوا عليهم أميراً، لأنّ الجماعة بدون أحد يوجهها ويسير بها يكون أمرها فوضىٰ، كما قال الشاعر:

لا يصلح الناس فوضىٰ لا سراة لهم

وأما أن يتخذوا أميراً يبايعونه علىٰ أنه ولي أمرهم دون ولي الأمر الذي جعل الله له الطاعة، وفرض علينا موالاته ومناصرته بالحق، فإنه لا يجوز ذلك.

ولا شكّ أنه يوجد أناس يدعون إلىٰ الله عز وجل وظاهر أمرهم الصلاح لكنّ لهم طرقاً مخالفة لما جاء به النبي عليه الصلاة والسلام، فهؤلاء ينبغي أن نستغلهم بأن نخرج معهم أو نصاحبهم، وننظر كيف يصنعون؟ فإذا وجدناهم علىٰ باطل بيَّناه لهم، فإن اهتدوا إلىٰ الحق ورجعوا إليه فهذا ما نريد، وإن أصروا علىٰ ما هم عليه من الطرق، فإنّ الواجب البعد عنهم، وأن يبيَّن للناس ما هم عليه من الضلال حتىٰ لا يغتر الناس بظاهر أحوالهم.

لا يجوز للإنسان أن يتكلم في دين الله بلا علم

٧٣ **ما النصيحة لقوم من الناس يقومون بالدعوة إلى الله، وبزيارة الناس ودعوتهم إلى المساجد، وبعضهم لا يعرف عن العلم شيئاً؟**

* أما طريقة إصلاح الخلق، فالذي أرىٰ أن يتبع في ذلك الوسائل المناسبة، ما لم تكن الوسيلة منهياً عنها؛ لأنّ الوسائل في حدّ ذاتها ليس لها حكم. بل للوسائل أحكام المقاصد.

أما الوسائل المنهي عنها فلا يجوز اتباعها، كمن جعل الرقص والمزامير وسيلة لجلب الناس ليدعوهم إلىٰ الله، فإن ذلك حرام ولا ينفع؛ لأن الله تعالىٰ لم يجعل شفاء الأمة فيما حرم عليها.

فالوسائل في الدعوة إلىٰ الله عز وجل جائزة ما لم تكن منهياً عنها؛ لأن الوسيلة في حدّ ذاتها ليست عبادة، لكنها طريق إلىٰ هدف مقصود، فكونهم مثلاً يزورون الناس ويتلون عليهم القرآن وما تيسر من أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام ويخرجون بهم معهم، ليعلموهم ويرشدوهم فإن هذا خير بلا ريب.

أما بالنسبة لكونهم يتكلمون بلا علم، فإنه لا يجوز للإنسان أن يتكلم في دين الله بلا علم، قال تعالىٰ: ﴿**قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ**

وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾[١] وقال: ﴿ وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ﴾[٢] .

ثم إنه بالمناسبة أحبّ أن أنبِّه إلىٰ أن كثيراً من الوعّاظ يأتون في وعظهم بأحاديث ليس لها زمام. وهي أحاديث إمّا ضعيفة، وإمّا موضوعة، يدَّعون بذلك أنهم لا يجذبون الناس إلا بمثل هذه الأحاديث، وهذا خطأ كبير. ففيما صحَّ من أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام، وفي كتاب الله عزوجل ما يكفي عن هذه الأحاديث الموضوعة أو الضعيفة.

أنا ضد الذين ينتقدون هذه الجماعة

٧٤ كثرت الانتقادات على جماعة الدعوة والتبليغ مع العلم أن هذه الجماعة لها دور بارز في الدعوة، فالرجاء نصح هذه الجماعة للدعوة السليمة بدلاً من التحذير منها؟

* لقد كثر القول عن الجماعات، وما هو الأفضل من هذه الجماعات وما أشبه ذلك. وكثر الكلام في جماعة الدعوة والتبليغ.

وأنا أرىٰ أن هذه الجماعة فيها خير كثير، ولها تأثير بالغ لا يوجد في الجماعات التي أعلم أشدّ تأثيراً منها:

فكم من كافر آمن بدعوتهم، وكم من عاصٍ أطاع بدعوتهم، وهذا أمر مشاهد ولا ينكر.

لكن هؤلاء الجماعة حسب ما أرىٰ يحتاجون إلىٰ العلم، ولقد بلغني عن بعضهم أنه لا يرغب في العلم، ولا التعمق فيه، ويقول: التعمق للعلماء، وما

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٣٣ .

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٣٦ .

أشبه ذلك، وهذا خطأ وهذا هو الذي أنتقده عليهم.

كذلك بلغني عن زعماء لهؤلاء الجماعة في الأقطار الإسلامية خارج بلادنا أنهم على انحراف في العقيدة، فإذا صحّ هذا فإن الواجب الحذر منهم والاقتصار على الدعوة داخل بلادنا على الوجه المشروع.

على كلّ حال أنا أرى في الجماعة خيراً كثيراً، ولكنهم لا يخلون من تقصير، كما أنني أحذر من الزعماء الذين خارج بلادنا إن صح ما بلغني عنهم، فبلادنا والحمد لله فيها علماء، وفيها صلحاء، ولا حاجة أن نذهب إلى خارج البلاد.

من أين انبعث الإسلام؟ أليس من هذه البلاد؟ وسيرجع إليها الإيمان أي إلى المدينة، فهذه البلاد هي أول الإسلام وآخر الإسلام، ومن ثمّ قال النبي عليه الصلاة والسلام: «**أخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب**»[١]. وقال في مرض موته: «**أخرجوا المشركين من جزيرة العرب**»[٢]. وقال فيما رواه مسلم: «**لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع إلا مسلماً**»[٣].

لماذا خصّ جزيرة العرب بهذا التنزيه من هؤلاء؟ لأنّ لها شأناً كبيراً في أن تبقى خالصة لا يجتمع فيها دينان، دين الإسلام، ودين الكفر أبداً.

---

(١) ذكره بهذا اللفظ ابن حجر في التلخيص الحبير (٤/ ١٣٩) وقال: «متفق عليه بلفظ: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب.. الحديث».

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الجزية والموادعة، باب: «إخراج اليهود من جزيرة العرب»، رقم (٣١٦٨). ومسلم، كتاب الوصية باب: «ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي به»، رقم (١٦٣٧).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب: «إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب»، رقم (١٧٦٧).

الصفاتُ الستّ التي تدعو إليها جماعة التبليغ فيها قصور عظيم

٧٥ جماعة التبليغ دعوتهم تدور حول ما يسمونه الصفات الست، وهي صفات الصحابة، فهل لهذه الصفات أصل في الكتاب والسنة؟ وما رأيك في هذه الصفات؟

* الصفات السّت التي يدعو إليها إخواننا جماعة التبليغ لا شك أنها صفات حسنة حميدة، ولكنها ليست هي الصفات التي تنحصر فيها صفات الداعين والمدعوين إلى الله عز وجل، بل هم تركوا صفات عظيمة أعظم مما دعوا إليه، أو أعظم من بعض ما دعوا إليه، لكن هذا اجتهاد منهم.

ولهذا كتبنا إلى بعض الناس أن هذه الدعوة قاصرة، وأنه يجب أن يركزوا دعوتهم على ما جعله النبي ﷺ ديناً لنا وهو ما دلَّ عليه حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: كنَّا جلوساً عند النبي ﷺ فدخل رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشّعر، لا يُرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، فجلس إلى النبي ﷺ وأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه وقال: يا محمد! أخبرني عن الإسلام؟ قال: «**الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت**». قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: «**أن تؤمن بالله، وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره**». قال: صدقت. قال: أخبرني عن الإحسان؟ قال: «**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**». وفي آخر الحديث قال النبي ﷺ: «**هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**»(١).

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب: «بيان الإيمان والإسلام والإحسان»، رقم (٨)، وأخرجه البخاري من حديث أبي هريرة، كتاب الإيمان، باب: «سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام...»، رقم (٥٠).

فلو أن إخواننا جماعة التبليغ ركَّزوا دعوتهم على هذه الأصول التي سماها النبي ﷺ ديناً لكان خيراً وأقوم.

والصفات الستّ التي دعوا إليها لا شك أن فيها قصوراً عظيماً، يجب عليهم أن يكملوها بما دلّ عليه الشرع.

الواجب تبني حزباً واحداً

٧٦ بعض الحكومات تدعو إلى التعددية الحزبية؛ بل إن النظام نفسه يتبنى واحداً من هذه الأحزاب، ونجد أن هذا الحزب الذي تتبناه الحكومة يدافع دفاعاً مستميتاً عن نظام الحكم؛ وهذا النظام لا يطبق الشريعة الإسلامية، علماً بأن الحزب فيه أفراد مسلمون وأفراد غير مسلمين.

* الواجب على الدولة أن تتبنى حزباً واحداً فقط؛ ألا وهو حزب الله عز وجل المتكفل بتحكيم الشريعة الإسلامية في كل الأمور؛ في العبادات التي هي علاقة الإنسان بربه، وفي المعاملات بين الخلق سواء كانت فيما يتعلق بالأسرة أو مما يتعلق بالجوانب الأخرى الاقتصادية والحربية وغير ذلك.

هذا الواجب على كل حكومة تحكم بلداً إسلامياً، لأن المسلمين فوضوا أمرهم إلى هذه الحكومة مشترطين بألسنتهم أو بأحوالهم أن تطبق هذه الحكومة شريعة الله؛ لأن الشعب المسلم لا يريد إلا أن يكون الإسلام هو المرجع الوحيد.

فالواجب على الحكومة في أي بلد من البلاد الإسلامية الرجوع إلى الكتاب والسنة، وتوحيد الأحزاب السياسية وغير السياسية على حزب واحد وهو حزب الله المنفذ لشريعة الله. والحزب الواحد وهو حزب الله لن يضر بالأمة الإسلامية مثلما يحصل من التعدد الحزبي، وقد أشار الله عز وجل في القرآن الكريم إلى أن التعدد والتنازع هو سبب الفشل، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ

رِيحُكُمْ﴾(١) .

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(٢) .

حكم الإضراب عن العمل

٧٧ ما حكم الإضراب عن العمل في بلدٍ مسلم للمطالبة بإسقاط النظام العلماني، وما حكم الاستفزاز في حديث الرجل الذي أُوذي من جاره فاشتكى للرسول ثم أخرج متاعه إلى الخارج ؟

* هذا السؤال لا شك أن له خطورته بالنسبة لتوجيه الشباب المسلم، وذلك أن قضية الإضراب عن العمل سواء كان هذا العمل خاصاً أو بالمجال الحكومي لا أعلم له أصلاً من الشريعة ينبني عليه، ولا شك أنه يترتب عليه أضرار كثيرة حسب حجم هذا الإضراب شمولاً وحسب حجم هذا الإضراب ضرورة. ولا شك أيضاً أنه من أساليب الضغط على الحكومات، والذي جاء في السؤال أن المقصود به إسقاط النظام العلماني؛ وهنا يجب علينا إثبات أن النظام علماني أولاً؛ ثم إذا كان الأمر كذلك فليعلم أن الخروج على السلطة لا يجوز إلا بشروط، بيَّنها النبي ﷺ كما في حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله، قال: «**إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان**»(٣) .

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٤٦ .

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٥ .

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الفتن، باب: «قول النبي ﷺ: «سترون بعدي أموراً تنكرونها»، رقم (٧٠٥٦). ومسلم، كتاب الإمارة، باب: «وجوب طاعة الأمراء في غير معصية»، رقم (١٧٠٩).

الشرط الأول: أن تروا بمعنىٰ أن تعلموا علماً يقينياً بأن السلطة ارتكبت كفراً.

الشـرط الثـاني: أن يكون الذي ارتكبته السلطة كفراً ، فأما الفسق فلا يجوز الخروج عليهم بسببه مهما عظم.

والشرط الثالث: «بواحاً» أي معلناً صريحاً لا يحتمل التأويل.

والشـرط الرابع: «عندكم فيه من الله برهان» أي مبني علىٰ برهان قاطع من دلالة الكتاب والسنة أو إجماع الأمة. فهذه أربعة شروط.

والشرط الخامس: يؤخذ من الأصول العامة للدين الإسلامي وهو قدرة هؤلاء المعارضين علىٰ إسقاط السلطة؛ لأنه إذا لم يكن لديهم قدرة انقلب الأمر عليهم لا لهم، فصار الضرر أكبر بكثير من الضرر المترتب علىٰ السكوت علىٰ هذه الولاية، حتىٰ تقوىٰ الجبهة الأخرىٰ المطالبة لدين الإسلام. فهذه الشروط الخمسة لابد منها لإسقاط الحكم العلماني في البلاد. فإذا تعين أن الإضراب يكون سبباً لإسقاط الدولة أو لإسقاط الحكم بعد الشروط التي ذكرناها؛ فإنه يكون لا بأس به، وإذا تخلَّف شرط من الشروط الأربعة التي ذكرها الرسول ﷺ والشرط الخامس الذي ذكرنا أن قواعد الشريعة تقتضيه؛ فإنه لا يجوز الإضراب ولا يجوز التحرك لإسقاط نظام الحكم.

هل يجوز مواجهة النظام؟

[٧٨] بعد الإضراب يقدم الذين أضربوا مطالبهم وفي حالة عدم الاستجابة لهذه المطالب، هل يجوز مواجهة النظام بتفجير ثورة شعبية؟.

* لا أرىٰ أن تقام ثورة شعبية في هذه الحال ، لأن القوة المادية بيد الحكومة كما هو معروف، والثورة الشعبية ليس بيدها إلا سكين المطبخ وعصا الراعي، وهذا لا يقاوم الدبابات والأسلحة. لكن يمكن أن يتوصل إلىٰ هذا من طريق آخر

إذا تمت الشروط السابقة، ولا ينبغي أن نستعجل الأمر، لأن أي بلد عاش سنين طويلة من الاستعمار لا يمكن أن يتحول بين عشية وضحاها إلىٰ بلد إسلامي؛ بل لابد أن نتخذ طول النفس لنيل المآرب.

والإنسان إذا بنىٰ قصراً فقد أسس؛ سواء سكنه أو فارق الدنيا قبل أن يسكنه، فالمهم أن يُبنىٰ الصرح الإسلامي وإن لم يتحقق المراد إلا بعد سنوات. فالذي أرىٰ ألا نتعجل في مثل هذه الأمور، ولا أن نثير أو نفجر ثورة شعبية؛ لأن المسألة خطيرة، وتعرفون أن الثورة الشعبية غالبها غوغائية لا تثبت علىٰ شيء، لو تأتي القوات إلىٰ حي من الأحياء وتقضي علىٰ بعضه لكان كل الآخرين يتراجعون عما هم عليه.

الاعتصام من أساليب الضغط

[٧٩] يصحب هذا الإضراب وهذه التجمعات اعتصام في الساحات من طرف الشباب، كأن يعتصموا في الساحات الحكومية ويبيتون ليالي في هذه الساحات، فما حكم هذا الاعتصام وهل له أصل في الشرع؟

* هذا الاعتصام من أساليب الضغط علىٰ الحكومة بلا شك، وهو فيما أعلم مستورد، ولكن من المعلوم أن الوسائل تكون علىٰ حسب المقاصد، ولها حكم المقصد إن لم تكن من الوسيلة المحرمة. وهذا الاعتصام ينبني علىٰ ما سبق فيما قلناه بالنسبة للإضراب.

هذه الكلمة فيها إجمال

[٨٠] ما رأيكم فيمن يقول: نجتمع فيما اتفقنا فيه، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه؟

* رأيُنَا في هذه الكلمة أن فيها إجمالاً:

أما نجتمع فيما اتفقنا فيه فهذا حقّ.

وأمَّا يعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه»، فهذا فيه تفصيل:

فما كان الاجتهاد فيه سائغاً فإنه يعذر بعضنا بعضاً فيه، ولكن لا يجوز أن تختلف القلوب من أجل هذا الخلاف.

وأما إن كان الاجتهاد غير سائغ فإننا لا نعذر من خالف فيه، ويجب عليه أن يخضع للحق. فأوّل العبارة صحيح، وأمّا آخرها فيحتاج إلىٰ تفصيل.

الدعوة بغير علم لا تستقيم أبداً

٨١ هناك بعض الدعاة نجدهم يهتمون بالدعوة إلى الله، والأخوة في الله، والمحبة فيه، ولا يركّزون، ولا يهتمون بالتعلم، والتفقه في أمور الدين والعقيدة، وحضور مجالس العلم ما هو تعليقكم على ذلك؟

* **تعليقي على ذلك**: أقول: إنّ أوّل زاد يجب أن يتزود به الداعية أن يكون عالماً، والتقليل من أهمية العلم معناه أن يبقىٰ الناس علىٰ جهل، وأن تكون دعوتهم عائمة لا يدرىٰ ما وجه الصواب فيها.

وإذا كانت الدعوة قائمة علىٰ جهل فإنَّ كل إنسان سوف يحكم ما يُملي عليه عقله، مما يظنه صواباً، وهو خطأ. فأرىٰ أنَّ هذا الاتجاه اتجاه خاطئ! وأنه يجب العدول عنه، وألا يدعو الإنسان إلا بعد أن يعلم، وقد بوَّب البخاري رحمه الله علىٰ نحو هذا في قوله في الصحيح: باب العلم قبل القول والعمل، ثم استدل بقوله تعالىٰ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾(١). فلابد أن يعلم الإنسان أولاً ثم يدعو.

وأمّا الدعوة علىٰ غير علم فلا تستقيم أبداً. أرأيتم لو أننا خرجنا من جدة نريد أن نذهب إلىٰ الرياض فأمسكنا بواحد نعرف منه الخير وحسن النية، وقلنا

---

(١) سورة محمد، الآية: ١٩.

له: نريد أن تدلنا على الرياض، ولكنه يجهل الطريق، فذهب بنا في البراري والفيافي، وأتعبناه وأتعبنا، والنتيجة أننا لم نصل إلى الرياض. لماذا؟ لأنَّه لا يعرف الطريق.

فكيف يكون دليلاً إلى الشريعة من لا يعرف الشريعة؟ هذا لا يمكن أبداً.

أي هذه الأشياء نقدم؟

٨٢ بعض الشباب يقع في حيرة في تقديم هذه الأشياء بعضها على بعض، وهي العلم والدعوة والجهاد في سبيل الله، فأي هذه الأشياء يبدأ بها؟

* أمّا طلب العلم والدعوة فلا يتنافيان، إذ يمكن الجمع بينهما بأن يكون الإنسان طالب علم وداعياً إلى الله عز وجل، بل كل طالب علم فإنه يجب عليه أن يكون داعياً إلى الله؛ لأن من ثمرات العلم الدعوة إليه، وحينئذ نقول: الدعوة إلى الله تعالى من ثمرات العلم. وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام: «**بلغوا عني ولو آيه**»[1]. فأنت إذا عَلِمْتَ ولو مسألة من مسائل العلم فادع إلى الله في هذه المسألة التي هي من شرع الله.

وأما تقديم العلم على الجهاد أو الجهاد على العلم، فهذا يختلف:

أولاً: باختلاف حكميهما.

وثانياً: باختلاف الأشخاص.

* **أما اختلاف حكميهما**: فإذا كان طلب العلم فريضة والجهاد تطوعاً، فلا شك أنه يجب تقديم طلب العلم لأنه فريضة، وإذا كان الجهاد فريضة وطلب العلم تطوعاً، فلا شك بوجوب تقديم الجهاد لأنه فريضة.

---

(١) سبق تخريجه صفحة: (١٦).

ولكن إذا كان كل من طلب العلم والجهاد واجباً أو كان كل منهما تطوعاً فأيهما يقدّم؟

* فهذا ينبني على الأمر الثاني : وهو اختلاف الأشخاص، فمن الناس من نقول له : الأفضل أن تقدم الجهاد، ومنهم من نقول له : الأفضل أن تقدم طلب العلم.

فإذا كان هذا الرجل قوي البدن شجاعاً مقداماً عالماً بأساليب الحرب الحديثة، وهو بالنسبة للعلم قليل الحفظ قليل الفهم، قلنا له : الأفضل لك الجهاد.

وإذا كان الرّجل على العكس، ليست له قوة في البدن، وليس عنده علم بالأساليب الحربية، ولكنه في العلم عبقري! جيد في الحفظ والفهم والاستنباط، قلنا هنا: نقدِّم العلم، فلكل مقام مقال.

وخلاصة القول : أن العلم والدعوة لا يتنافيان، فالدعوة ثمرة العلم، والجمع بينهما هو كمال العلم.

وأما العلم والجهاد فلنا نظران: النظر الأول: في حكميهما: فإذا كان أحدهما واجباً والثاني تطوعاً قدّم الواجب بلا شك. وإذا كان كل منهما واجباً أو كل منهما تطوعاً فإننا ننظر النظر الثاني بالنسبة للرجل نفسه، والناس يختلفون.

من أراد الانتماء لمذهب معين
عليه ألا يخالف الدليل إذا تبين له

٨٣ **هل تنصح طلبة العلم بعدم التمذهب أو الرّجوع إلى مذهب معين فيما يشكل عليه من أحكام ؟**

* التمذهب بمذهب معين إذا كان المقصود منه أن الإنسان يلتزم بهذا المذهب معرضاً عمّا سواه، سواء كان الصّواب في مذهبه أو مذهب غيره، فهذا لا

يجوز، وهو من التعصب المذموم.

أما إذا كان الإنسان ينتسب إلىٰ مذهب معين لينتفع بما فيه من القواعد والضوابط، ولكنه يرد ذلك إلىٰ الكتاب والسنة، وإذا تبين له الرجحان في مذهب آخر ذهب إليه، فهذا لا بأس به. والعلماء المحققون كشيخ الإسلام ابن تيمية وأضرابهم من هذا النوع هم محققون، ولهم مذهب معين ينتمون إليه، لكنهم لا يخالفون الدليل إذا تبين لهم.

أشرطة الكاسيت وسيلة من وسائل تحصيل العلم

٨٤ هل تعتبر أشرطة الكاسيت طريقة من طرق العلم؟ وما هي الطريقة المثلى للاستفادة منها؟

* أما كون هذه الأشرطة طريقة أو وسيلة من وسائل تحصيل العلم فهذا لا يشك فيه أحد، ولا نجحد نعمة الله علينا في هذه الأشرطة التي استفدنا كثيراً من العلم بها، لأنها توصّل إلينا أقوال العلماء في أي مكان كنا.

ونحن في بيوتنا قد يكون بيننا وبين هذا العالم مفاوز ويسهل علينا أن نسمع كلامه من خلال هذا الشريط. وهذه من نعم الله عز وجل علينا، وهي في الحقيقة حُجة لنا وعلينا، فإن العلم انتشر انتشاراً واسعاً بواسطة هذه الأشرطة.

وأما كيف يُستفاد منها؟

فهذا يرجع إلىٰ حال الإنسان نفسه، فمن الناس من يستطيع أن يستفيد منها، وهو يقود السيارة، ومنهم من يستمع إليه أثناء تناوله لطعام الغداء أو العشاء أو القهوة.

المهمّ أن كيفية الاستفادة منها ترجع إلىٰ كل شخص بنفسه، ولا يمكن أن نقول فيها ضابطاً عاماً.

الواجب في الأمور الغيبية أن نقرها كما جاءت

٨٥ **ما معنى أن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضىً بما يصنع ؟**

* الواجب علينا في هذه الأمور الغيبية أن نقرها كما جاءت في النصّ .

انتبهوا لهذه القاعدة المفيدة وهي : «الأمور الغيبية يجب أن نجري النصوص فيها على ظاهرها» ؛ لأن عقولنا لا تدرك كُنْهَهَا وحقيقتها التي هي عليه . والسؤال الآن : هل للملائكة أجنحة؟!

نعم لها أجنحة ، قال الله تعالى : ﴿ **جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً أُوْلِي أَجْنِحَةٍ** ﴾[1] . إذن لها أجنحة ، وإذا كان كذلك فهذه الأجنحة يمكن أن تضعها الملائكة لطالب العلم ، ولا يلزم أن نشاهدها ؛ لأن هذا علم غيبي ، كما أننا نؤمن الآن بأن عن اليمين وعن الشمال قعيد . ملائكة يكتبون كل ما نقول ، قال تعالى : ﴿ **مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ** ﴾[2] .

هل أنتم تشاهدون هؤلاء الملائكة؟! أبداً .

إذن يجب أن نؤمن بما دل عليه النصّ أن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم ، لكن على أي كيفية؟ الله أعلم .

* ومن الأمور الغيبية التي لا نعلم كيفيتها ما يقوله بعض الطلبة : إن النبي ﷺ أخبر بأن الشمس إذا غربت تذهب وتسجد حول العرش ، وتستأذن ، فإن أُذن لها وإلا رجعت[3] .

---

(١) سورة فاطر، الآية : ١ .

(٢) سورة ق، الآية : ١٨ .

(٣) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب : « ﴿وكان عرشه على الماء﴾»، رقم (٧٤٢٤) . ومسلم، كتاب الإيمان، باب : « بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان»، رقم (١٥٩) .

فيقول قائل: نحن الآن نشاهدها تغيب عنا، وتخرج على قوم آخرين، فمثلاً تغيب هنا في الرياض ولكنها على الحجاز باقية ما غربت! وتغيب مثلاً عن المنطقة الشرقية وهي عندنا باقية فكيف يكون هذا؟!

نقول: عليك أن تؤمن بما قال النبي عليه الصلاة والسلام. أما كيف ذلك؟ فهذه أمور غيبية لا يعلمها إلا الله عزّ وجلّ، أو من أطلعه الله عليها من خلقه، ولهذا لما قال رسول الله ﷺ هذا الحديث لم يقل أبو ذر ـ وهو راوي الحديث ـ كيف يكون هذا؟ بل سلّم ولم يتكلم.

* وهكذا ما يقوله بعض الطلبة: إن الله عز وجلّ ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر[١]، ونحن نشاهد أن ثلث الليل الآخر ينتقل على الكرة الأرضية، فكيف يمكن هذا؟ فنقول: الله أعلم. فنحن نؤمن بأنه ينزل سبحانه وتعالى إلى السماء الدنيا ما دام ثلث الليل الآخر باقياً، فإذا طلع الفجر انتهى وقت النزول الإلهي بالنسبة إلى من طلع الفجر عليهم. والله أعلم بما وراء ذلك.

هل يجوز تعلم الدين من الكتب فقط؟

٨٦ هل يجوز تعلّم الدين من الكتب فقط دون العلماء وخاصة إذا كان يصعب التعلم على أيدي العلماء لندرتهم، وما رأيك في قول القائل: «من كان شيخه كتابه كان خطؤه أكثر من صوابه»؟

* لا شك أن العلم يحصل بطلبه عند العلماء، وبطلبه في الكتب، لأنَّ كتاب العالم هو العالم نفسه، فهو يحدثك من خلال كتابه، فإذا تعذر الطلب

(١) أخرجه البخاري، كتاب التهجد، باب: «الدعاء والصلاة في آخر الليل»، رقم (١١٤٥). ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: «الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه»، رقم (٧٥٨).

علىٰ أهل العلم، فإنه يطلب العلم من الكتب.

ولكن تحصيل العلم عن طريق العلماء أقرب من تحصيله عن طريق الكتب؛ لأن الذي يُحصِّله عن طريق الكتب يتعب أكثر، ويحتاج إلىٰ جهد كبير جداً، ومع ذلك فإنه قد تخفىٰ عليه بعض الأمور كالقواعد الشرعية التي قعّدها أهل العلم والضوابط، فلابد أن يكون له مرجع من أهل العلم بقدر الإمكان.

وأما من قال: «من كان دليله كتابه فخطؤه أكثر من صوابه». فهذا ليس صحيحاً علىٰ إطلاقه، ولا فاسداً علىٰ إطلاقه.

أمّا الإنسان الذي يأخذ العلم من أي كتاب يراه فلا شك أنه يخطئ كثيراً. وأما الذي يعتمد في تعلمه علىٰ كتب رجال معروفين بالثقة والأمانة والعلم، فإن هذا لا يكثر خطؤه، بل قد يكون مُصيباً في أكثر ما يقول.

حكم السفر إلى بلاد الكفار

٨٧ **ما حكم السفر إلى بلاد الكفار من غير ضرورة؟**

* لا يجوز السفر إلىٰ بلاد الكفر إلا بثلاثة شروط:

الشرط الأول: أن يكون لدىٰ الإنسان علم يدفع به الشبهات، لأنَّ الكفَّار هناك يوردون شبهات علىٰ الناس، تكاد تعصف بهم حتىٰ يزلوا، فلابد أن يكون عند الإنسان علم يدفع به الشبهات حتىٰ يسلم من شرهم.

والكفار معادون لدين الله بل هم معادون لله، ومعادون لأولياء الله، وهم يبذلون كل جهدهم لنشر دينهم، ونشر الشبهات حتىٰ يشككوا المسلم في دينه.

ولذلك تجدهم يرسلون النشرات بل وأشرطة الكاسيت إلىٰ بلادنا لدعوة

أبنائنا إلىٰ النصرانية ، والنصارىٰ لا يسأمون يعملون الليل والنهار لا يفترون ، لإخراج المسلمين من دينهم ، وهذه وصية أوصيكم بها أن تحذروا شرَّ النصارىٰ ، كما أوصيكم أن تحذروا شرَّ اليهود ، وشرّ الشيوعيين ، وشر المنافقين الذين يظهرون الإسلام وهم أعداء الإسلام .

فأقول : لابدّ من هذا الشرط لمن أراد أن يسافر إلىٰ بلاد الكفر : وهو أن يكون عند الإنسان علم يدفع به الشبهات .

الشرط الثاني : أن يكون عند الإنسان دين يمنعه عن الشهوات ، لابد أن يكون عندك دين يمنعك عن الشهوات ؛ لأن بلاد الكفر بلاد شهوات : ﴿**إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً**﴾[1] . ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ**﴾[2] . فهم أصحاب متع ، عندهم من الشهوات الجنسية والعقلية والفكرية ما لا يُمنع أحد منه ، يستطيع الزاني أن يزني ، واللائط أن يلوط ، والخمّار أن يشرب الخمر ، وكل أنواع الفسق والرذيلة موجودة هناك ، فإذا لم يكن عند الإنسان دين يحميه عن هذه الشهوات انزلق فيها .

الشرط الثالث : أن يكون الإنسان محتاجاً إلىٰ السفر إلىٰ البلاد ، إما لعلاج ، أو لعلم ليس في بلاده اختصاص فيه ، أو للدعوة إلىٰ الله ، أو لغير ذلك من الأمور التي يُحتاج إلىٰ السفر إلىٰ بلاد الكفر من أجلها .

أما إذا كان غير محتاج ، فإنه لا يجوز أن يسافر للخطر الشديد علىٰ من سافر إلىٰ هذه البلاد .

وكم من إنسان ؛ ولا سيما من الشباب سافر إليها بقلب ورجع إلىٰ بلاده

---

(١) سورة الفرقان ، الآية : ٤٤ .

(٢) سورة محمد ، الآية : ١٢ .

بقلب آخر، سافر إليها بقلب سليم، ورجع منها بقلب منتكس، فعلينا أن ننتبه لهذا .

وهاهنا تنبيه لابد منه: وهو أن بعض الناس عندما يسافر إلىٰ بلاد الكفر ويأخذ جنسيتهم، ويقول: إذا أخذت جنسية فإنهم يعالجونني مجاناً، ويفعلون كذا وكذا من الخصائص التي يختص بها المواطنون، فهذا لا يجوز إطلاقاً، مهما كان الأمر، لأن اتخاذ الجنسية لازمه موالاتهم في الحرب والسلم والشدة والرخاء، وقد قال الله تعالىٰ: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥١) فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾**(١) . فالذين في قلوبهم مرض ليس عندهم يقين ولا ثقة بوعد الله، لذلك تجدهم يسارعون في موالاة أولئك الكفار وموادتهم .

حكم السفر إلى بلاد الكفر بغرض تعلم اللغة الإنجليزية ودعوة الكفار إلى الإسلام

[٨٨] هل يجوز السفر إلى إحدى الدول الأوربية لتعلم اللغة الإنجليزية بالإضافة إلى دعوة الكفار إلى الإسلام؟

* **هذا له مقصدان**: **المقصد الأول**: تعلم اللغة الإنجليزية، وأعتقد أن السفر لهذا ليس بضرورة، فمن الممكن أن يتعلمها هنا .

أما المقصد الثاني: فهو الدّعوة إلىٰ الله. وهذا لا شك مقصد طيب لكن بشرطين:

---

(١) سورة المائدة، الآيتان: ٥١، ٥٢ .

الأول : أن يكون عند الإنسان علم يدفع به الشبهات .

أما أن يذهب يدعو إلىٰ الله وليس عنده علم، فهذا كساع إلىٰ الهيجاء بغير سلاح ! فلابد أن يكون لديه علم يدفع به الشبهات، ويتمكن به من إقناع المدعوين وإفحام المجادلين .

الثاني : أن يكون عنده عبادة ودين يدفع به الشهوات ؛ لأن كثيراً من الناس إذا ذهب إلىٰ تلك البلاد قد ينزلق في مزالق الهاوية، فإذا كان عنده هذان الأمران : العلم والعبادة مع إخلاص النية فهذا طيب، يستحق أن يشجع عليه ويساعد عليه .

الأسس والمبادئ في دعوة الكفار إلى الإسلام؟

[٨٩] ما هي الأسس والمبادئ التي يجب على المسلم أن يبدأ بها عند دعوته أهل الكفر إلى الإسلام ؟

* كثير من الناس لا يفرقون بين الدعوة إلىٰ الله، وبين الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وبين تغيير المنكر، وهذه في الحقيقة مراتب بينها تفاوت .

* أما الدعوة إلىٰ الله فإنها نوعان : عامة وخاصة .

* **أما العامة** : فتكون بإلقاء الخطب وكتابة الكتب علىٰ سبيل عام موجه لعموم الناس .

* **وأما الخاصة** : فبأن تذهب إلىٰ شخص معين تدعوه إلىٰ الله عز وجل، وليس هذا خاصاً بالكافر، بل حتىٰ المسلم يحتاج إلىٰ دعوة، ربما نجد بعض المسلمين مصراً علىٰ شيء من الكبائر يظن أنّه علىٰ حقٍّ، أو يشك في أمره وفي تحريمه، وهذا يحتاج إلىٰ دعوة بأن يذهب الإنسان إليه وأن يبين له الحق، ويضرب له الأمثال حتىٰ يقتنع وليس هذا من باب الأمر .

* أما الآمر فأعلىٰ سلطة من الداعية، لأن الأمر كما نعلم جميعاً هو طلب الفعل علىٰ وجه الاستعلاء، ففيه شيء من السلطة، ولكن الداعي عارض، يرغّب ويحثّ، لكن الآمر له نوع من السلطة.

ولهذا لو أمرت شخصاً من زملائك وأقرانك، يقال هذا التماس، وليس بأمرٍ، لكن إذا أمرت من هو دونك يكون أمراً.

* وأما المغيِّر فإن سلطته أقوىٰ من الآمر، بحيث يتمكن من إزالة المنكر بيده، ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام: «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه**»[١]. أما الأمر فلم يرد مثل هذا الترتيب فيه، فيقال: من أمر منكم فليأمر بيده . . . إلىٰ آخره.

* فالحاصل أن الكافر يختلف أسلوب دعوته بحسب كفره:

فالذي ينكر وجود الله مثلاً كالشيوعيين ندعوهم إلىٰ الله عز وجلّ ببيان الأدلة العقلية والحسية علىٰ وجود الله عز وجل.

أما الأدلة الشرعية: فهم لا يقتنعون بها، لكن نبين وجود الله عز وجل، ووجوب وجوده بالأدلة العقلية والأدلة الحسية الواقعة، فمن الأدلة العقلية ما أشار الله إليه في قوله: ﴿**أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ**﴾[٢].

قال جبير بن مطعم ـ وكان رضي الله عنه من أسرىٰ بدر ـ، قال: «إني سمعت النبي ﷺ يقرأ بها في المغرب، فلما بلغ هذه الآية: ﴿**أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ**...﴾ الآيات. كاد قلبي أن يطير»[٣]، وذلك من شدة وَقْعها في نفسه، ووقر الإيمان في قلبه.

---

(١) سبق تخريجه صفحة: (٦٤).

(٢) سورة الطور، الآية: ٣٥.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب: «تفسير سورة الطور»، رقم (٤٨٥٤).

ونقول: إن الإجابة على هذه الآية: أنهم لم يخلقوا من غير شيء؛ لأنه لابد لهم من خالق، ولم يخلقوا أنفسهم؛ لأنهم كانوا عدماً. والعدم لا يوجد غيره، لأنه هو ليس بشيء، فلا يمكن أن يخلقوا أنفسهم، ولا أن يخلقوا من غير شيء والخالق لهم هو اللّٰه عز وجل.

وأما الأدلة الحسية: فهو أننا نشاهد ويشاهد غيرنا أن الإنسان يدعو الله عز وجل في أمر من الأمور، ثم يأتي الشيء مطابقاً لدعوته تماماً، وهذا في القرآن والسنة كثير، وكذلك في الواقع بين الناس كثير، وإذا كان الإنسان ممن يؤمن بالله، ولكنه يكفر برسالة النبي عليه الصلاة والسلام كاليهود والنصارىٰ، فإننا ندعوهم إلىٰ الله عز وجل ببيان صدق رسالة النبي عليه الصلاة والسلام وبالأخص نقول للنصارىٰ: هل تؤمنون بعيسىٰ؟ فسيقولون: نعم. هل تصدقونه؟ فسيقولون نعم، نصدقه. فنقول اسمعوا قول الله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾(١).

المبشر بالشيء هل يبشر بشيء لا علاقة للمبشرين به فيه؟

والجواب: لا وحينئذ يجب أن تصدقوا محمداً! فإذا قالوا: عيسىٰ بشّر بأحمد، وهذا محمد فنحن ننتظر أحمد، قلنا لهم: اقرؤوا قول الله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ جاء: فعل ماض. إذن هذا المبشَّر به قد أتىٰ.

وهل أتىٰ بعد عيسىٰ أحد من الأنبياء غير النبي ﷺ؟! أبداً.

إذا قالوا لقد جاء غير النبي ﷺ قلنا: اتبعوه. اتبعوا هذا الذي ادعيتم أنه جاء، ولكن لا يدّعون هذا.

---

(١) سورة الصف، الآية: ٦.

فنقـول: إذن فأحمد هو محمد، لكن الله تعالىٰ ألهم عيسىٰ أو أعلمه بهذا الاسم، ليظهر فضله، لأن أحمد اسم تفضيل؛ سواء كان من اسم الفاعل أو اسم المفعول، فإنه يدلّ علىٰ شرف النبي عليه الصلاة والسلام، وأنه أحمد الناس لله، وأحق الناس أن يحمد أيضاً. فهو اسم تفضيل من الجانبين، فهو: أحمد الناس لله، وهو أحق الناس أن يحمد، وأن اختيار هذا الاسم في البشارة لبني إسرائيل ليتبين به فضيلة النبي ﷺ علىٰ من سواه من البشر.

علىٰ الإنسان أن يدعو أقرب الناس إليه

٩٠ ما حكم الشرع في الدعوة إلىٰ الله في المجتمعات الخارجية، سواء المجتمعات العربية أو غيرها من البلاد الأجنبية، فإن كثيراً من الدعاة يركزون على ذلك بحماس شديد؟

* الذي أرىٰ أن يدعو الإنسان أقرب الناس إليه، فإن الله تعالىٰ أول ما أرسل رسوله محمداً ﷺ قال: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾(١). فإذا كان في بلده مجال للدعوة وإصلاح الخلق فإنه لا ينبغي أن يخرج إلىٰ بلد آخر ولو بجوارهم، وإذا لم يكن، بأن كان بلده مستقيماً وعلىٰ الوجه المطلوب فإنه ينتقل إلىٰ الثاني، ثم إلىٰ الثالث، وهكذا، ولهذا قال الله عز وجل لنبيه ﷺ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾، وقال لعموم المؤمنين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾(٢). وكونه يذهب إلىٰ أمريكا أو روسيا أو إلىٰ ما أشبهها من الدول يدعو وبلاده بحاجة إليه، هذا ليس من الحكمة.

فالحكمة أن يصلح الإنسان بلده قبل كل شيء، بل أهله قبل كل شيء، ثم الناس الأولىٰ فالأولىٰ، والأمثل فالأمثل، اقتداء بما أرشد الله سبحانه وتعالىٰ نبيه ﷺ إليه.

---

(١) سورة الشعراء، الآية: ٢١٤.
(٢) سورة التوبة، الآية: ١٢٣.

ندعوا الكافر بما يناقض كفره

٩١ نعلم أن أسلوب الدعوة للمسلم هو الترغيب والترهيب من دلائل وآيات وأحاديث ، فما هو أسلوب الدعوة للكافر ؟

* هو الشيء نفسه : ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ﴾(١) . وهذا يشمل دعوة الكافر والمسلم، فالكافر ننظر مثلاً إلىٰ كفره وندعوه بما يناقض ذلك الكفر.

فإذا كان كافراً بدعوىٰ أن الله ثالث ثلاثة كالنصارىٰ. فإننا نبين له استحالة ذلك عقلاً، كما أنه مستحيل بنصوص الشرع، ونقول له كما قال الله تعالىٰ : ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾(٢) . وقال تعالىٰ : ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾(٣) . ونبين له أن الإله واحد، وأن عيسىٰ عبد الله ورسوله، وأن أمه صدِّيقة، وأنهما كانا يأكلان الطعام، ويشربان، ولو كانا إلهين ما حصل ذلك منهما.

والمهم أننا ندعو الكافر ابتداء بإبطال كفره الذي هو عليه، لكن بالتي هي أحسن. ثم نبين له ما في الإسلام من الخير العاجل والآجل، وما في الكفر من ضد ذلك.

دعوة الخادمة للإسلام واجبة

٩٢ من كان عنده خادم كافر أو خادمة كافرة فهل يتعين عليه دعوتهما للإسلام؟

* نعم يجب عليه أن يدعوهما للإسلام إلا إذا كان هناك من يقوم بدعوتهما. والغالب أنه لا يقوم بدعوة من هو في بيته وتحت خدمته إلا هو.

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٥ .

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٢٢ .

(٣) سورة المؤمنون، الآية: ٩١ .

ويدل لوجوب الدعوة عليه قوله تعالىٰ: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[(١)] . وقول النبي ﷺ لمعاذ حين بعثه إلىٰ اليمن: «**ادعهم إلى الإسلام**»[(٢)] .

والإسلام إنما ينتشر بالدعوة القولية والفعلية كما هو ظاهر في انتشار الإسلام في أول عهده، ولا يخفىٰ علىٰ الجميع فضل الدعوة إلىٰ الإسلام، وأن الإنسان إذا اهتدىٰ علىٰ يده أحدٌ فله مثل أجره؛ لأنَّ الدال علىٰ الخير كفاعله، وقد قال النبي ﷺ: «**لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمر النعم**»[(٣)] .

لا تتوسعوا لهم إذا قابلوكم

٩٣ كيف نوفق بين الحديث الذي يحثنا على أنه إذا رأينا النصراني نضطره إلى أضيق الطريق. والأحاديث الدالة على دعوته إلى الدخول في الإسلام ؟

* يجب أن نعلم أن سيّد الدعاة في دعوته إلىٰ الله هو النبي عليه الصلاة والسلام، وأنه أفضل المرشدين إلىٰ الله، وأنه أعلم الخلق بما يصلح الخلق.

وإذا علمنا ذلك فإن أيّ فَهْمٍ نفهمه من كلام الرسول ﷺ يكون مجانباً للحكمة، فإنه يجب علينا أن نتجنب هذا الفهم، وأن نعلم أن فهمنا لكلام الرسول ﷺ خطأ، لكن ليس معنىٰ ذلك أن نقيس أحاديث الرسول بما تدركه عقولنا، لأنّ عقولنا وأفهامنا قاصرة، ولكن هناك قواعد عامة في الشريعة يرجع إليها في المسائل الخاصة الفردية، فالنبي ﷺ يقول: «**لا تبدؤوا اليهود ولا النصارى بالسلام، وإذا لقيتموهم في طريق فاضطرّوهم إلى أضيقه**»[(٤)] .

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٥ .

(٢) سبق تخريجه صفحة: (١٩) .

(٣) سبق تخريجه صفحة: (٥) .

(٤) أخرجه مسلم، كتاب السلام، باب: «النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام»، رقم (٢١٦٧).

وانتبهوا لكلمة «لا تبدؤوا» أول الحديث، وكلمة: «وإذا لقيتموهم» آخر الحديث بمقارنة أول الحديث بآخره. يكون المعنى: لا تتوسعوا لهم إذا قابلوكم، حتى تكون لهم السعة، ويكون الضيق عليكم، بل استمروا في اتجاهكم وسيركم واجعلوا الضيق إن كان هناك ضيق على هؤلاء. وإلا فمن المعلوم أن هدي النبي ﷺ ليس إذا رأى الكفار ذهب ليضيق عليهم الطريق. ما كان الرسول يفعل هذا مع اليهود في المدينة ولا أصحابه يفعلونه بعد فتوح الأمصار.

ولكن المعنى أنكم كما لا تبدؤونهم بالسلام فلا تفسحون الطريق لهم، وإذا لقوكم لا تتفرقوا حتى يعبروا بل استمروا على ما أنتم عليه، واجعلوا الضيق عليهم إن كان في الطريق ضيق.

هذا هو معنى الحديث وليس في هذا شيء أبداً. ليس فيه إلا عزة المسلم وأنه لا يذل لأحد إلا لربه عز وجل، وهذا أيضاً لا يمنع من دعوة الكافر إلى الإسلام، فإن دعوته إلى الإسلام أمر مطلوب وخاصة من الذين يتمكنون من ذلك ولديهم القوة في الدعوة، فإنه يجب عليهم الدعوة إلى الله ما استطاعوا.

حكم عقد المناظرات بين الأديان

٩٤ هل يجوز عقد المناظرات بين الأديان، وذلك مثل ما حدث بين الداعية أحمد ديدات والقسّ النصراني؟

* المناظرة بين المسلمين والكفار واجبة إذا دعت الحاجة إليها، قال الله تعالى آمراً نبيّه ﷺ بذلك: **﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾**(١).

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٦٤.

وما قصة مناظرة إبراهيم عليه السلام للملك الذي حاجّه في ربّه بِخَفِيَّة، وما محاجة إبراهيم عليه السلام لقومه بمجهولة لنا، فإبراهيم حاجَّ قومه كما ذكره الله تعالىٰ، حاجّهم حين قال: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[١] .

ولكن يجب أن يكون هذا المناظر علىٰ علم بالإسلام وعلىٰ علم بالدين الذي عليه الخصم ليتمكن من إفحام خصمه، لأن المجادل يحتاج إلىٰ أمرين:

أحدهما: إثبات دليل قوله .

والثاني: إبطال دليل خصمه .

ولا سبيل إلىٰ ذلك إلا بمعرفة ما هو عليه وما عليه خصمه، ليتمكن من دحض حجته، وليبشر دعاة الإسلام أن حجج أهل الباطل داحضة، وأن باطلهم هالك كما قال تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾[٢] . وقال تعالىٰ: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾[٣] .

وأنا شاهدت جانباً من المناظرة التي وقعت بين الداعية الإسلامي أحمد ديدات، وأعجبني، وبلغني أنه في النهاية ألقم ذلك القس حجراً، وأنه انقطع عن مناظرته وظهر عجزه، والحمد لله .

---

(١) سورة الأنعام، الآيات: ٧٦ـ٧٩ .

(٢) سورة الشورىٰ، الآية: ١٦ .

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ١٨ .

لا بأس بإظهار الفرح والسرور لمن أسلم من الكفار

٩٥ **هل يجوز أن نحتفل بمناسبة دخول أحد المشركين في الإسلام في المكان نفسه الذي يعمل به، وذلك كطريقة لتأليف قلوبهم ودخولهم في الإسلام؟**

* إظهار الفرح والسرور لمن أسلم من الكفار لا بأس به، لكن بشرط ألا يتخذ ذلك عيداً يتكرر، فإنه لا عيد في الإسلام سوى الأعياد الثلاثة: عيد الأضحى، وعيد الفطر، وعيد الأسبوع وهو يوم الجمعة.

فأما صنعُ طعام لهذا الرجل الذي أسلم احتفاء به وتأليفاً له على الإسلام بدون أن يتخذ ذلك عيداً يتكرر كل عام، فإن هذا لا بأس به، وهذا من التأليف على الإسلام.

هل يجوز تهنئة المسيحيين بأعيادهم؟

٩٦ **هل يجوز تهنئة المسيحيين بأعيادهم وغير ذلك؟**

* تهنئة المسيحيين والصواب أن نقول: (النصارى) لأن كلمة (المسيحيين) تضفي الشرعية على دينهم أي أنهم ينتسبون للمسيح عيسى ابن مريم، ومن المعلوم أن عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام، قد بشّر بني إسرائيل بمحمد ﷺ، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾[1].

فإذا كفر هؤلاء بمحمد ﷺ فقد كفروا بعيسى؛ لأنهم ردُّوا بشارته التي بشَّرهم بها، ولهذا نصفهم بما وصفهم الله به في الكتاب، ووصفهم به رسول الله ﷺ في السنة، ووصفهم به علماء المسلمين بهذا الوصف أنهم (نصارى) فنقول:

---

(١) سورة الصف، الآية: ٦.

إن النصارىٰ إذا كفروا بمحمد ﷺ فقد كفروا بعيسىٰ ابن مريم .

ولكنهم يقولون: إن عيسىٰ ابن مريم بشَّرنا برسول يأتي من بعده اسمه أحمد، والذي جاء اسمه محمد فنحن ننتظر أحمد، أما محمد فليس الذي بشّر به عيسىٰ . فما الجواب علىٰ هذا التلبيس ؟

الجواب: أن نقول: إن الله سبحانه وتعالىٰ قال: **﴿فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾** وجاء، فعل ماضٍ دلّ علىٰ أن هذا الرسول قد جاء ؛ وهل جاءهم أحد غير محمد عليه الصلاة والسلام بعد عيسىٰ ؟ أبداً ما جاءهم بعد عيسىٰ إلا محمد ﷺ ، وعلىٰ هذا كان واجباً عليهم أن يؤمنوا بمحمد ﷺ ، وبعيسىٰ أيضاً : **﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾**[(١)] . ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام: «**من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأن عيسى عبد الله ورسوله**»[(٢)] ، فلا يتم إيماننا إلا بالإيمان بعيسىٰ عليه الصلاة والسلام، أنه عبد الله ورسوله، فلا نقول كما قالت النصارىٰ: إنه ابن الله، ولا أنه إله . ولا نقول كما قالت اليهود: إنه كاذب وليس برسول من عند الله، لكننا نقول: إنّ عيسىٰ أرسل إلىٰ قومه ، وأن شريعة عيسىٰ وغيره من النبيين نُسخت بشريعة محمد ﷺ .

*** أما تهنئة النصارى أو اليهود بأعيادهم فحرام باتفاق أهل العلم كما ذكر ذلك ابن القيم رحمه الله في كتاب «أحكام أهل الذمة»** وإليك نص كلامه قال: «وأما التهنئة بشعائر الكفر المختصة بهم فحرام بالاتفاق، مثل أن يهنئهم بأعيادهم وصومهم

---

(١) سورة البقرة ، الآية: ٢٨٥ .

(٢) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب : «قوله : ﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم .. الآية ﴾»، رقم (٣٤٣٥). ومسلم، كتاب الإيمان، باب : «الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً»، رقم (٢٦).

فيقول: عيد مبارك عليك، أو تهنأ بهذا العيد ونحوه، فهذا إن سلم قائله من الكفر، فهو من المحرمات، وهو بمنزلة أن يهنئه بسجوده للصليب، بل ذلك أعظم إثماً عند الله وأشد مقتاً من التهنئة بشرب الخمر وقتل النفس وارتكاب الفرج الحرام ونحوه، وكثير ممن لا قدر للدين عنده يقع في ذلك ولا يدري قبح ما فعل» أ. هـ والله أعلم.

الإسلام دين الحق

٩٧ **ما قول العلماء الكرام في من يستغلون الإسلام لتحقيق أغراضهم الشخصية؟**

* الإسلام دين الحق مثلما هو معروف ولله الحمد، كما قال الله تعالىٰ لنبيه محمد ﷺ: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً﴾[١]. ودين الإسلام أرفع وأعز وأعلىٰ من أن يجعله الإنسان غرضاً لوصوله إلىٰ أغراضه الشخصية، وكل إنسان يدعي أنه من أنصار الإسلام وحماته فإنه يجب أن تعرض أفعاله علىٰ أقواله حتىٰ يتبين أنه صادق في ذلك؛ لأنَّ المنافقين يقولون عن تمسكهم بالإسلام ما إذا سمعهم الرجل قال هؤلاء هم المؤمنون، كما قال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾. ثم قال تعالىٰ: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ① اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ إلىٰ أن قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ④﴾[٢].

فعند المنافقين من البيان والفصاحة ما إذا سمعه الإنسان سمع لقولهم، وظنَّ أنهم علىٰ حق وصواب.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١١٩.

(٢) سورة المنافقون، الآيات: ١ـ٤.

وعلىٰ كل حال فإنه لا يجوز للإنسان أن يتمسح بالدين الإسلامي لينال مآربه الشخصية، فيجعل الدين وسيلة لغرض من الدنيا، بل عليه أن يتمسك بدين الإسلام لينال ثمراته الجليلة، التي منها العز والتمكين في الأرض قبل ثواب الآخرة، قال الله عز وجل: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾[1].

وقال الله عز وجل: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[2].

جهاد المنافقين ليس كجهاد الكفار

٩٨ ما السبيل الأرشد لمواجهة الحرب التي تُشَنُّ على الإسلام من بعض أبناء المسلمين أنفسهم سواء كانوا من العلمانيين أو من غيرهم؟

* الواجب علىٰ الأمة الإسلامية أن تقابل كلَّ سلاح يصوب نحو الإسلام بما يناسبه:

* فالذين يحاربون الإسلام بالأفكار والأقوال يجب أن يبيَّن بطلان ما هم عليه بالأدلة النظرية العقلية، إضافة إلىٰ الأدلة الشرعية، حتىٰ يتبين بطلان ما هم عليه.

* والذين يحاربون الإسلام من الناحية الاقتصادية يجب أن يُجابهوا، بل أن يهاجموا إذا أمكن بمثل ما يحاربون به الإسلام، ويبين أن أفضل طريقة لتقويم الاقتصاد علىٰ وجه عادل هي طريقة الإسلام.

---

(١) سورة النور، الآية: ٥٥.

(٢) سورة النحل، الآية: ٩٧.

* والذين يحاربون الإسلام بالأسلحة يجب أن يقاوموا بما يناسب تلك الأسلحة، ولهذا قال الله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾(١) .

ومن المعلوم أن جهاد المنافقين ليس كجهاد الكفار؛ لأنَّ جهاد المنافقين يكون بالعلم والبيان، وجهاد الكفار يكون بالسيف والسهام.

اليهود والنصارى كفَّرهم الله عز وجل في كتابه العزيز

٩٩ زعم أحد الوعّاظ في مسجد من مساجد أوربا في درس من دروسه أنه لا يجوز تكفير اليهود والنصارى، وتعلمون ـ حفظكم الله ـ أن بضاعة معظم الذين يترددون على المساجد في أوربا من العلم قليلة، ونخشى أن ينتشر مثل هذا القول، فنرجوا منكم بياناً شافياً في هذه المسألة؟

* أقول: إن هذا القول الصادر عن هذا الرجل ضلالٌ، وقد يكون كفراً، وذلك لأنَّ اليهود والنصارىٰ كفَّرهم الله عز وجل في كتابه، قال الله تعالىٰ: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝٣٠ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(٢) . فدلّ ذلك علىٰ أنهم مشركون.

وبيَّن الله تعالىٰ في آيات أخرىٰ ما هو صريح بكفرهم:

---

(١) سورة التحريم، الآية: ٩ .

(٢) سورة التوبة، الآيتان: ٣٠، ٣١

فقال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾[١] . وقال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ﴾[٢] . وقال تعالىٰ: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾[٣] . وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾[٤] .

والآيات والأحاديث في هذا كثيرة .

فمن أنكر كفر اليهود والنصارىٰ الذين لم يؤمنوا بمحمد ﷺ وكذبوه فقد كذَّب الله عز وجل، وتكذيب الله كفرٌ، ومن شكّ في كفرهم فلا شكَّ في كفره هو.

ويا سبحان الله!!

* كيف يرضىٰ هذا الرجل أن يقول: إنه لا يجوز إطلاق الكفر علىٰ هؤلاء وهم يقولون إنَّ الله ثالث ثلاثة؟! وقد كفرهم خالقهم عز وجل؟!

* وكيف لا يرضىٰ أن يُكفِّر هؤلاء وهم يقولون: إن المسيح ابن الله، ويقولون: يد الله مغلولة، ويقولون: إن الله فقير ونحن أغنياء!!

* كيف لا يرضىٰ أن يكفر هؤلاء وأن يطلق كلمة الكفر عليهم وهم يصفون ربَّهم بهذه الأوصاف السيئة التي كلها عيب وشتم وسب؟!.

وإني أدعو هذا الرجل إلىٰ أن يتوب إلىٰ الله عز وجل، وأن يقرأ قول الله

(١) سورة المائدة، الآية: ١٩ .
(٢) سورة المائدة، الآية: ٧٣ .
(٣) سورة المائدة، الآية: ٧٨ .
(٤) سورة البينة، الآية: ٦ .

تعالىٰ: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾[(١)] ، وألا يداهن هؤلاء في كفرهم، وأن يبين لكل أحد أن هؤلاء كفار، وأنهم من أصحاب النار، قال النبي ﷺ: «**والذي نفس محمد بيده ، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة -أي أمة الدعوة- يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار**»[(٢)] .

فعلىٰ هذا القائل أن يتوب إلىٰ ربه من هذا القول العظيم الفرية، وأن يعلن إعلاناً صريحاً بأن هؤلاء كفرة، وأنهم من أصحاب النار، وأن الواجب عليهم أن يتبعوا النبي الأمي محمداً ﷺ فإنه معروف عند اليهود والنصارىٰ، يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، قال الله تعالىٰ: ﴿**الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[(٣)] . وهو بشارة عيسىٰ ابن مريم عليه الصلاة والسلام، فقد قال عيسىٰ ابن مريم ما حكاه ربُّه عنه: ﴿**يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ**﴾[(٤)] .

لما جاءهم المبشَّر به أحمد بالبينات قالوا هذا سحر مبين، وبهذا نرد دعوىٰ أولئك النصارىٰ الذين قالوا: إنَّ الذي بشّر به عيسىٰ هو أحمد لا محمد،

---

(١) سورة القلم، الآية: ٩ .

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب: «وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلىٰ جميع الناس»، رقم (١٥٣).

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٥٧ .

(٤) سورة الصف، الآية: ٦ .

فنقول: إن الله قال: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾، ولم يأتكم بعد عيسىٰ إلا محمد ﷺ، ومحمد هو أحمد لكن الله ألهم عيسىٰ أن يسمي محمداً بأحمد؛ لأنّ أحمد اسم تفضيل من الحمد، فهو أحمد الناس لله، وهو أحمد الخلق في الأوصاف الكاملة التي يحمد عليها، فهو عليه الصلاة والسلام أحمد الناس لله، جَعْلاً لصيغة التفضيل من باب اسم الفاعل، وهو أحمد الناس بمعنىٰ أحق الناس أن يحمد جَعْلاً لصيغة التفضيل من باب اسم المفعول، فهو حامد ومحمود علىٰ أكمل صيغة الحمد الدال عليها أحمد.

وإني أقول: إن كل من زعم أنَّ في الأرض ديناً يقبله الله سوىٰ دين الإسلام فإنه كافر لاشك في كفره؛ لأنَّ الله عز وجل يقول في كتابه: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[1]. ويقول عز وجل: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾[2]. ويقول: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾[3].

وعلىٰ هذا ـ وأكررها مرة ثالثة ـ علىٰ هذا القائل أن يتوب إلىٰ الله عز وجل، وأن يبين للناس جميعاً أن هؤلاء اليهود والنصارىٰ كفار، لأن الحجة قد قامت عليهم وبلغتهم الرسالة ولكنهم كفروا عناداً.

ولقد كان اليهود يوصفون بأنهم مغضوب عليهم؛ لأنهم علموا الحق وخالفوه، وكان النصارىٰ يوصفون بأنهم ضالون لأنهم أرادوا الحق فضلوا عنه، أمّا الآن فقد علم الجميع الحق وعرفوه، ولكنهم خالفوه، وبذلك استحقوا جميعاً

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨٥.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٩.

أن يكونوا مغضوباً عليهم.

وإني أدعو هؤلاء اليهود والنصارىٰ إلىٰ أن يؤمنوا بالله ورسله جميعاً، وأن يتبعوا محمداً ﷺ لأن هذا هو الذي أمروا به في كتبهم كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦) الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٥٧) قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٨)﴾[(١)].

وليأخذوا من الأجر بنصيبين، كما قال رسول الله ﷺ: **«ثلاثة لهم أجران: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد ﷺ . .»** الحديث[(٢)].

ثم إني اطلعت بعد هذا علىٰ كلام لصاحب الإقناع في باب حكم المرتد قال فيه بعد كلام سبق: «. . . أو لَمْ يكفّر من دان بغير الإسلام كالنصارىٰ، أو شك في كفرهم، أو صحح مذهبهم، فهو كافر».

ونقل عن شيخ الإسلام قوله: «من اعتقد أن الكنائس بيوت، وأنَّ الله يعبد فيها، وأن ما يفعله اليهود والنصارىٰ عبادة لله وطاعة له ولرسوله، أو أنَّه يحب

(١) سورة الأعراف، الآيات: ١٥٦ ـ ١٥٨.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب: «تعليم الرجل أمته وأهله»، رقم (٩٧)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب: «وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلىٰ جميع الناس»، رقم (١٥٤).

ذلك أو يرضاه، أو أعانهم على فتحها وإقامة دينهم، وأن ذلك قربة أو طاعة؛ فهو كافر».

وقال أيضاً في موضع آخر: «من اعتقد أنَّ زيارة أهل الذمة في كنائسهم قربة إلى الله فهو مرتد».

وهذا يؤيد ما ذكرناه في صدر الجواب، وهذا أمر لا إشكال فيه، والله المستعان.

■ ■ ■ ■ ■

فهرس الأحاديث الواردة في الكتاب

الحـــديث **الصفحة**



الفهرس

الموضوع | الصفحة

